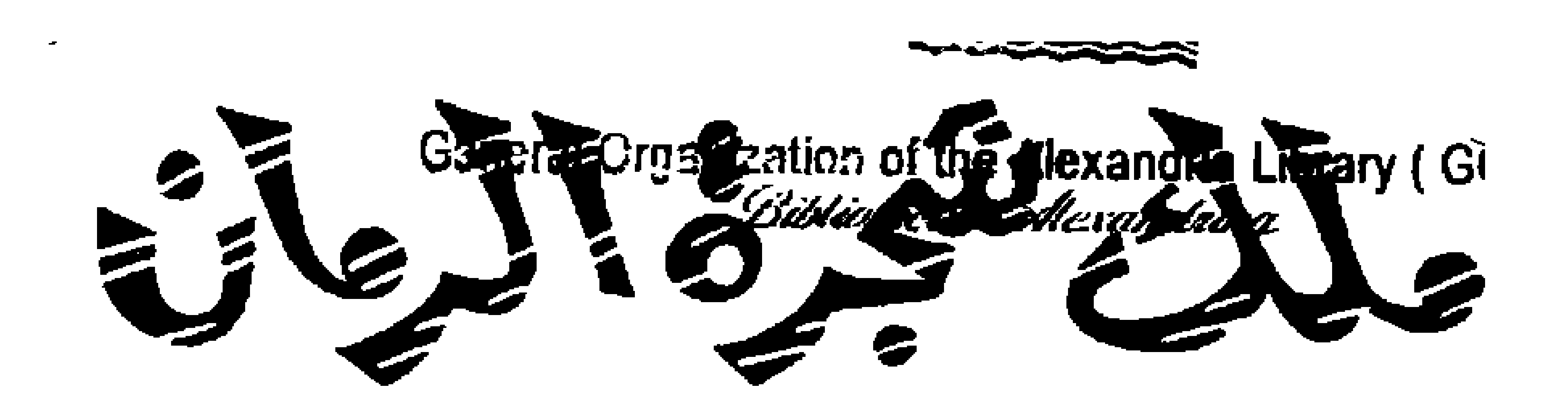
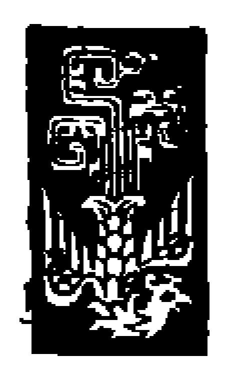

سلسلة كتب «العنقاء»
ملك شجرة الرمان

GIFTS OF 2000

THE EMBASSY OF THE
PEOPLE REPUBLIC OF
CHINA - CAIRO



حكايات المسلمين الصينيين



سلسلة كتب «المختار»

الطبعة الاولى . . . . . . عام ١٩٨٧



٢٤ شارع باى وان تشوانغ
بكين - الصين

طبع فى جمهورية الصين الشعبية

تمهيد

الصين دولة متعددة القوميات منها عشر قوميات تدين بالاسلام : هوى ، الويغور ، القازاق ، التتار ، القرغيز ، الطاجيك ، الاوزبك ، دونغشيانغ ، سالا ، باوآن .

والمسلمون الصينيون تتركز غالبيتهم فى شمال غرب الصين ، وابناء قومية هوى (حوالى ٧ر٢ مليون نسمة) ينتشرون فى عموم الصين .

وللمسلمين الصينيين عاداتهم وتقاليدهم التى مازالوا يحافظون عليها حتى اليوم ، كما لهم لغاتهم منها المكتوبة ومنها المنطوقة باستثناء قومية هوى التى تتكلم بلسان اهل هان — القومية الكبرى فى الصين .

وكما يتمتع المسلمون الصينيون بحرية الاعتقاد الدينى ، منحوا حكما ذاتيا على مستوى المنطقة والمحافظة والبلدة ، كما يشاركون فى جميع المؤسسات السياسية بالبلاد .

ولهذه القوميات المسلمة تراثها الادبى والفنى والفولكلورى الذى يعتبر جزءا من تراث الأمة الصينية الذى تشكل عبر ازمان سحيقة .

هذا الكتاب يضم ثمانى عشرة حكاية شعبية لقوميات مسلمة فى الصين ، تناقلتها ، ومازالت ، ألسنة الناس ، فياضة بالمشاعر كما النور يملأ الفضاء الرحب .

ويجد القارئ لهذه الحكايات انها نوع من الفن الشعبى عميق الجذور اخذ فى الانتشار والتداول فى اوساط الجماهير الشعبية . . يجد حكايات تتحدى الطغيان ممثلا فى ادواته ورموزه من حاكم أشر او طامع قذر . وهى — الحكايات — كما سيجدها القارئ ، نوع من الادب المسموع لا المقروء ، وقع اختيارنا لها لما تمتاز به من ايجابيات وصدق فى وصفها للحياة والناس .

وهى ايضا — الحكايات — يجمعها رابط مشترك يدور حول الخير والشر . . هذه الحكايات تمتزج فيها عناصر الخير وعناصر الشر ، بمعنى انها تتضمن نماذج للخير واخرى للشر . وبطبيعة الحال فان عنصر الخير هو المنتصر ، وعنصر الشر هو المندحر . ومن الأمور السهل استشفافها ان عنصر الخير طيب خلوق فيما عنصر الشر قبيح ممقوت ، تنفر النفس منه اول ما تقع عليه العين او تسمع به الأذن .

كلمة اخيرة فى هذه العجالة الموجزة . . ان الحكاية من هذه الحكايات تفتقر الى العقدة القصصية والحبكة الفنية كما هو حال الرواية او القصة الفنية اليوم ، مع انها تستوفى كافة عناصر التشويق والأثارة .

محمد ابو جراد

فتى ذهبى الشعر

(حكاية ويغورية)

كان فى قديم الزمان يتيم فقير ذو شعر ذهبى ، اسمه شانياز ، فقد والديه منذ طفولته . فاضطر ، على صغره ، الى رعى الماشية وحمل الماء وتنظيف الارض لغيره كى يكسب قوته اليومى .

وذات يوم ، غلبه النعاس فاستسلم للنوم ، ورأى فى منامه جماعة من الفتيات يتحممن ويلعبن فى نهر عريض وقد غمرهن المرح والفرح . وكان بينهن فتاة رائعة الجمال تدعى نورباوه ، نظرت اليه بابتسامة وولت هاربة بعد ان رشته بالماء ، فركض وراءها ، غير انه عجز عن اللحاق بها ، وتصبب جسمه عرقا من القلق والجزع . ولما افاق من النوم وجد نفسه فى حلم جميل .

منذ ذلك اليوم اصبح الفتى العاطفى عالقا بفتاة الحلم ، يفكر فيها ليلا ونهارا ولا يهدأ باله ولو دقيقة واحدة . فعزم على مغادرة مسقط رأسه والتجوال فى العالم بحثا عن فتاته المحبوبة .

ومضت ايام وشهور ، عبر الفتى خلالها انهارا عريضة لا حصر لها واجتاز جبالا شواهق وصحارى جرداء لا تعد حتى بلغ مدينة كبيرة فمكث فيها رجاء ان يجد عملا ، غير ان كل السبل كانت مسدودة امامه لكونه غريبا عنها كل الغربة . وذات يوم قادته قدماه



الى ضاحية المدينة حيث جلس بجانب احدى العيون . وبينما هو يفكر مهموما ، جاءت عجوز تحمل دلوين الى العين لأخذ الماء منها ورأته جالسا فى ذهول ، فسألته :

— يا بنى ، اراك مهموما مغموما ، فهل هناك ما يضايقك ؟!

رفع الفتى رأسه ببطء وقال :

– نعم يا خالة . عندى ما يضايقنى .

– اود ان استمع الى قصتك ، يا بنى . هل انت مطرود من والديك ؟

– لا ابدا : انا يتيم مسكين ، جئت هنا لأبحث عن عمل . ولكنى اخفقت فى ذلك ، لأنى غريب فى المدينة ، لا اعرف احدا : فماذا افعل ؟

فردت عليه العجوز لتواسيه :

– لا تيأس ، يا بنى ! لماذا تزعج نفسك بأشياء تافهة ؟ كن ابنى بالتبنى . واكون انا امك الحنون . هيا بنا الى البيت .

ثم قادته الى بيتها . ومنذ ذلك اليوم ، بدأ شانياز يعيش مع العجوز ويساعدها فى رعى الابقار وحمل الماء .

فى يوم من الايام كان يسوق الابقار فمر بجانب نهر ورأى عددا من الفتيات يتحممن فيه . ولاح بينهن وجه جميل القسمات مألوف لنظره ، غير انه لم يذكر اين شاهده : فخبأ نفسه فى مكان قريب لينظر اليهن فى خلسة .

وفجأة سمع احداهن تنادى تلك الفتاة الجميلة : " نورباوه ! " فتذكر فتاته التى رآها فى الحلم وبحث عنها مدة طويلة . فقال لنفسه : وجدتها اخيرا . صنع شانياز مزمارا من القصب وعزف فيه تحت شجرة ضخمة ، فانبعثت منه ألحان رقيقة حزينة جعلت الفتيات يخرجن من الماء ويتجهن نحو مصدر الالحان بعد ان لبسن ثيابهن . . .

اما الفتى فتابع عزفه وفجأة تذكر ابقاره ، ونهض مسرعا

فاصطدم رأسه بغصن الشجرة وسقطت قبعته فانكشف شعره الذهبى ووجهه البديع امام الفتيات ، ومنهن نورباوه التي وقعت فى حبه لأول نظرة .

ساق شانياز ، فى اليوم التالى . الابقار الى المرعى كعادته ، حاملا فى يده باقة من الزهور التي قطفها من حديقة العجوز واخفى فيها لفيفة ورقية صغيرة .

ولما صارت الشمس فى كبد السماء ، لمح الفتيات يتحممن فى النهر ، فرمى باقة الزهور الى النهر لتنساب مع المياه باتجاه المكان الذى يسبحن فيه . والتقطتها نورباوه صدفة ووجدت تلك اللفيفة ، فاذا هى رسالة غرامية يبوح فيها بما يختلج فى قلبه من حبها . ففكرت الفتاة فى نفسها : لم اتوقع ان تنضرم فى داخله ايضا نار الحب التى قد تأججت ألسنتها عالية فى قلبى ، حبذا لو تلاقينا وتفاتحنا ، يا ما احيلاه لو تحقق هذا الزواج ! ومن حسن طالعها ان الفتيات الاخريات لم يكشفن بعد عما يدور فى خلدها .

فى اليوم الثالث ، جاءت الفتيات للاستحمام كعادتهن وباحت نورباوه لواحدة منهن بسرها وطلبت منها ان تلعب مع الاخريات . اما هى فانسلت من الماء خلسة لتبحث عن معشوقها .

تناجى الحبيبان ساعات طويلة وكشف كلاهما للآخر ما جال فى خواطره من لواعج الحب والشوق .

ومنذ ذلك اليوم بدآ يخلوان ويلعبان فى نشوة السعادة . ومضت عليهما شهور وشهور حتى قال شانياز يوما لنورباوه :

– كم كنت اتمنى لو نعيش معا !

فردت الفتاة بحياء :

– اذن ، ارسل خاطبا الى والدى !

وفى مساء ذلك اليوم ، جلس الفتى الى جانب العجوز بعد العشاء وقال لها متلعثما :

– يا اماه ! اطلب منك شيئا ان سمحت .

فقالت له العجوز :

– اخبرنى ما تشاء يا بنى ! اذا لا تقول لأمك العزيزة ، لمن تقول اذن ؟

– لا تؤاخذينى ، يا اماه ! انا احب نورباوه حبا جما . هل يمكنك ان تذهبى الى والديها وتطلبيها منهما ؟

– يا ولدى ، لست انا الا ارملة فقيرة ولا انت اكثر من يتيم وابنى بالتبنى ، اما ابوها فهو ثرى كبير ذائع الصيت ، فكيف تتطلع الى الزواج بابنته ؟ يقول المثل : الموظف يوالى الموظف والرعية تناصر الرعية والفقير يساعد الفقير . ولا بد ان نعرض انفسنا لسخرية الناس اذا طلبنا مصاهرة الثرى الكبير . لا تفكر ، يا ولدى ، فى هذا المستحيل .

ولكن شانياز سد اذنه عن نصيحة امه ، والح عليها متوسلا :

– يا امى العزيزة ، لا اطلب منك الا شيئا واحدا ، هو ان تذهبى الى بيت نورباوه وتلتمسى من ابيها ان يزوجنى ببنته .

ورأت الام الحنون اصرار ولدها على تحقيق امنيته ، فوعدته بالذهاب الى بيت الثرى الكبير فى اليوم التالى كيلا تخيب امله .

نهضت العجوز صباحا مع خيوط الفجر الاولى واخذت دلو الماء والمكنسة ثم توجهت نحو بيت الفتاة واخذت تغني امام بوابته بعد اتمامها تنظيف الارض :

انا وسيطة ، انا وسيطة ،
ارسلني شانياز اليكم
لطلب يد بنتكم
فهل توافقون ؟

ايقظ غناؤها الثرى وزوجته من نومهما العميق ، فنهضا في استغراب وخرجا ليجدا الارض امام البوابة قد نظفت ، فتبادلا النظرات وانتظرا مجيء الوسيط ، اذ ان هذه كانت وسيلة الخطوبة وقتئذ .

وفي المساء ذهبت العجوز مع عدد من جاراتها العجائز ، الى بيت الثرى وقدمن اليه طلب شانياز ليد بنته . فسألهن الثرى عن شخصيته ومكانة عائلته واملاكه . . .

اجابت العجوز :

– انه يتيم يعيش الآن في بيتي .

وما ان سمع كلامها حتى انفجر غاضبا وصاح في وجهها :

– انا ثرى شهير في البلدة كلها ، كيف يجرؤ وغد فقير مثله ان يتطلع الى الزواج ببنتي ؟ لعنة عليه . سأموت غضبا . اخرجن انتن من هنا جميعا ! ولا تجتزن عتبة بابنا مرة ثانية . سأكسر عظام من يجرؤ على المجيء هنا !

ثم طرد العجوز ومن معها بعنف .

عادت العجوز وقالت لشانياز :

– لقد قلت لك بأن ذلك امر مستحيل . وتذكر هذا القول المأثور : "لا تمد يدك الى ما تعجز عن الوصول اليه ." فكيف يمكن ان يسمح الثرى الكبير بترويج ابنته للفقير المعدم ؟ اترك هذه الفكرة . وانس الفتاة الى الابد ! والا ستعذب نفسك بلا طائل . اعدك بأن اختار لك فتاة جميلة اخرى .

اجاب الفتى :

– لا تقلقى ، يا اماه ! لا شيء يمكن ان يخيفنى فى العالم .

وقرر ان يخلو مع نورباوه ويتشاور معها للبحث عن مخرج .

ولكنه لم يجد لها اثرا منذ ذلك اليوم ، اذ كانت سجينة فى البيت . فلم تجد بدا الا ان تبعث اليه رسالة بيد احدى اخواتها .

وفتح الفتى رسالتها فاذا مكتوب فيها :

"انا سجينة البيت ، لا يسمح لى بالخروج . اطلب منك ان تأتى هذه الليلة وتمشى على طول النهر حتى تصل منفذ المياه فى حديقتنا الخلفية وتدخل منه لتختبئ فى البستان : سأخرج لأراك فى منتصف الليل ."

حل الليل ، وفعل الشاب ما اشارت عليه : ووصل الى البستان فبقى ينتظرها بفارغ الصبر .

اما نورباوه فلازمت على السرير بعينيها المفتوحتين الى ان حان الموعد ، فقامت خفية وخرجت الى الحديقة حيث لقيت حبيبها وتناجت معه وقتا طويلا . واتفق الاثنان على الهروب فى ليلة الجمعة .

وحان الموعد . وطلبت نورباوه نهارا من سائس مسن ان ينتظر بحصانين جيدين خلف الحديقة فى الليل .

نهضت الفتاة بخفة فى منتصف الليل ودست بعض الملابس فى اللحاف ، ثم خرجت من غرفتها على اطراف قدميها .

ولما ولج ابوها بالفانوس الورقى الغرفة ليراها ، وجد اللحاف يغطى كتلة كبيرة فظن ان بنته ما زالت نائمة فى داخله . فقال لنفسه مبتسما : انها تغط فى سبات عميق ! ثم استدار خارجا .

وفى اللحظة المحددة وصل شانياز ونورباوه الى الحديقة الخلفية وبعد ان شكرا سائس الخيل غادرا على صهوة الحصانين اللذين اطلقا سيقانهما للريح عائدين بهما الى كوخ العجوز . ولما عرفت العجوز انهما سيلوذان بالفرار ، اخذت تغنى كسيرة النفس :

امامك جبال شاهقة
فكيف تجتازها ؟
وتختبىء فى الصحارى المقفرة ذئاب شريرة
فكيف تعبرها ؟
وتمتد على شواطىء الانهار العريضة غابات من الاشجار الباسقة
فكيف تمر منها ؟
ويعترض طريقك قطاع الطرق
فكيف تفلت منهم ؟

واجهشت بالبكاء فغنى لها الفتى ليواسيها :

لا انثنى امام الجبال الشواهق
لأن جوادى اصيل
ولا اخاف من الذئاب الضارية
لأن بنادقى فتاكة
ولا اتراجع فى وجه الغابات الكثيفة
لأن مشعلى سيضئ طريقى
ولا اخشى من قطاع الطرق
لأن الحظ لن يخالفنى

وادركت العجوز ان عواقب وخيمة قد تنزل عليهما اذا لم يغادرا القرية فورا . فقالت لهما رغم ان قلبها مملوء بالحزن والالم :

ـ يا ولدى ، ليحميكما الله الرحيم الرحمان !

وودع الاثنان الخالة الحنون وانصرفا .

وتابعا سيرهما اياما حتى وقفا امام جرف عال شديد الانحدار . فحثا حصانيهما على العدو لاجتيازه . وما ان وصلا مكانا جديدا حتى هجمت عليهما خمسة ذئاب شرسة . فأطلق شانياز عليها ثلاث طلقات . ففرت فزعا . ثم بلغا جانب النهر العريض فاعترضت طريقهما غابات كثيفة مترامية الاطراف . فأخرجا مشعلا واضرما به النار فى الغابة . فانشق فى وسطها طريق فسيح فسارا فيه . وبينما هما يسيران فى طمأنينة اذا سبعة قطاع طرق يخرجون عليهما ويقولون للفتى :

ـ هل تريد حياتك ام بضاعتك ؟

فقال :

ـ ماذا تقصدون ؟

وردوا عليه :

ـ اذا اردت الحفاظ على حياتك ، فاذهب واترك حصانك وفتاتك لنا . قال شانياز بحزم :

ـ خذوا الحصان ان شئتم ! ولكن هذه الفتاة زوجتي ، ولن اتركها .

فأحاط قطاع الطرق به ونزلوا عليه ضربا حتى فقد وعيه . ثم اخذوا نورباوه وامروها ان تطبخ لهم طعاما . وبينما هي تحضر لهم الطعام ، قدحت زناد فكرها لايجاد وسيلة تثأر بها منهم . واومضت فجأة في ذهنها فكرة جريئة : اخذت السم الذي حملته معها قبل الهروب ووضعته في طعامهم . ثم قدمته اليهم فأخذوا يزدردونه بنهم . ولم تمض الا لحظات حتى تساقطوا واحدا تلو الآخر .

ثم جاءت الى شانياز فوجدت فيه رمقا . فرشت الماء البارد عليه فأفاق من اغمائه ، وبعد ان ضمدت له جروحه ، استأنفا طريقهما الى ان بلغا بلدة شانياز . وعاش الاثنان حياة سعيدة تظللها اطياف الحب والوفاء .

اعداد : تشانغ رو تشي

رسم : شا قنغ شي

شيويه دا والجرس الفضى

(حكاية من قومية هوى المسلمة)

كان فى سفح جبل الحطب البعيد عن البلدة واد خصيب جميل تتفتح فيه زهور متنوعة زاهية .

وكانت تقيم هناك ثلاثون اسرة فقيرة جاءت من اماكن شتى فرارا من النكبات والقحط وكانت تزاول الزراعة والصيد بكد واجتهاد وتعيش فى مودة وسلام متحدة كرجل واحد ، متقاسمة السراء والضراء .

وكان بينهم فتى يدعى شيويه دا ، جاء الى هذا الوادى مع والديه منذ صغره . ومن سوء طالعه ان والديه ماتا بالتوالى فأصبح يتيما . ولكن اهل القرية كانوا يحيطونه بعنايتهم الفائقة كأنه ولد من اولادهم . وعاشت فى نفس القرية ارملة تسمى لى عندها بنت تسمى الجرس الفضى ، وكانتا تعاملان الفتى احسن معاملة . فاتخذ شيويه دا من القرويين اقرباء اعزاء له واعتبر الارملة لى امه والجرس الفضى شقيقته .

كان شيويه دا شجاعا ومجتهدا منذ طفولته ، وعندما بلغ الثامنة عشرة من عمره ، اصبح شابا وسيم الوجه ، طويل القامة ، ضخم البنية ، جبار القوة ، يجيد مختلف الفنون القتالية ، خاصة الرماية بالسهام ، فكان لا يخطئ طريدته ، ولا تستطيع الوحوش



الافلات من يده . كما كان ماهرا فى الاعمال الزراعية ، وتنمو مزروعاته نموا جيدا للغاية . وكان ذات يوم يصطاد فى الجبل فلقى شيخا ابيض الشعر وهبه قوسا سحريا وثلاثة سهام ذهبية . ومنذ ذلك الوقت ، صارت الذئاب والثعابين والنمور والفهود وجن الجبال وشياطين الاشجار تحت رحمة سلاحه السحرى .

اما الجرس الفضى فعندما بلغت الرابعة عشرة اصبحت فتاة جميلة ذكية بارعة الانامل . وكانت تطرز الأزهار والطيور فتبدو كما لو انها ازهار طبيعية وطيور حقيقية . فتسابق الناس لشراء منسوجاتها المزدانة بالرسوم والصور الملونة . وكان غناؤها الحلو يطرب السمع وصوتها الرنان يجذب حتى الطيور والحيوانات الصغيرة فتصغى اليها . وفى يوم من الايام كانت الفتاة تحتطب فى الجبل فصادفت

عجوزا طيبة القلب ، اعطتها مزمارا سحريا ، يمكن ان ينسى المرء تعبه وعناءه حين يسمع رنينه العذب .

كان شيويه دا والجرس الفضي يساعدان غيرهما بحماسة ونشاط ، ويوزعان على اهالى القرية ما يصيدانه من الحيوانات ويجمعانه من الحطب ويمدان يد العون الى كل من تواجهه الصعوبات والمشقات .

وفى احدى السنين اصيب بعض الاهالى بمرض غريب عضال فى بطونهم . وسرعان ما تفشى المرض فى القرية كلها ، وتزايد عدد المرضى يوما بعد يوم . ولما رآهم شيويه دا والجرس الفضي يئنون تحت وطأة المرض ، عصر الالم قلبيهما واستبد بهما الحزن . فعقدا عزمهما ان يخلصاهم منه مهما يكلفهما ذلك من التضحية . فتوجها الى السيد ما الذى كان يلم بشيء من العلوم الطبية لاستشارته فقال لهما :

ــ انه مرض عضال يسبب تضخم البطن . ولكنى سمعت ان هناك وصفة ناجعة لهذا المرض من اهم مركباتها صفراء الفهد وعشبة ما ليان شيان ، اللذان يصعب الحصول عليهما . ولا بد ان تعثرا عليهما خلال ثلاثة اشهر ، والا لن ينجو المرضى من الموت .

فعزما على البحث عن هاتين المادتين كلا على حدة فسألا السيد ما عن مكانهما . ففكر هنيهة ثم اجاب :

ــ سمعت من شيوخ الحى ان فى كهف الحورية الواقع على جرف وانشى (جرف العشرة آلاف صخرة) يختبئ فهد ، ويخرج منه مرة كل سنة ، عموما فى ابان الصيف ولكن لا احد

يجرؤ على الذهاب الى هناك بسبب وجود الجن فيه . اما عشبة ما ليان شيان فهى فى جبل بعيد من هنا ، اسمه جبل وانهوا (جبل العشرة آلاف زهرة) ، ويمر الطريق الموصل اليه بكهف وانتياو (كهف العشرة آلاف طائر) حيث تمكث مختلف انواع الطيور الغريبة والجارحة . فلا يمكن ان يجتازه الرجل العادى .

ولكن الشابين لم يتراجعا امام المشقات والمخاطر التى ذكرها السيد ما ، بل زادت من عزيمتهما فى البحث عن الدواء الشافى .

فاقتاد شيويه دا اربعة فتيان واغذوا السير ليل نهار الى جرف وانشى الذى يقتضى الوصول اليه اجتياز ستة جبال شاهقة وعبور ستة اخاديد سحيقة . ولما وصل اولئك الفتيان الاربعة الى تلك الجبال ركبهم خوف شديد فولوا الادبار واحدا تلو الآخر . ولم يبق اخيرا الا شيويه دا وحده . ولكنه واصل سيره بعزيمة لا تنثنى غير عابئ بوعورة الطرق واخطارها ، ووصل اخيرا الى الجرف المنشود . وانبهر نظره بأشكال الازهار والاعشاب والاشجار الفريدة التى لم تسبق له رؤيتها ؛ واصناف الطيور الجميلة التى تحط على الاشجار ؛ والحيوانات الصغيرة التى تجرى وتلهو بحرية . ولكن شيويه دا لم يعر اى اهتمام لهذه المناظر الخلابة ، بل اخفى نفسه فى كهف مقابل للجرف وانتظر خروج الفهد بصبر . كان يأكل ما يصيده من الحيوانات البرية لتسكين جوعه ويشرب ماء الجدول لاطفاء نار الظمأ . ومرت ايام طويلة ولم يخرج الفهد .

وذات يوم ، رأى فجأة الطيور الجاثمة على الاشجار تطير عنها مفزعة والحيوانات الضعيفة تسرع بالفرار واخذ السكون الموحش

يسود الجرف كله . فأدرك ان الحيوان المفترس سيخرج . فتربص في داخل المغارة يراقب ما يجرى فى الخارج ، وقد وضع القوس والسهام والفالة * فى جانبه . وبعد برهة ، انبعث بريق احمر من كهف الحورية صبغ الوادى كله باللون القرمزى . ثم رأى الشاب فهدا ضاريا يندفع من الكهف . فغمر نفسه فرح عارم . وامسك فورا بقوسه السحرى واطلق سهمين واحدا اثر الآخر الى عيني الفهد فأصابهما فزأر الفهد من شدة الالم وتواثب مسعورا . ولكن شيويه دا لم يضيع وقته فغرس الفالة فيه وصرعه على الفور ثم سلخه واخرج صفراءه وعاد .

اما الجرس الفضى فانطلقت مع اربع فتيات للبحث عن عشبة ما ليان شيان . وتابعن سيرهن مدة طويلة جدا حتى بلغن مغارة وانيناو . وارسلت الفتيات ابصارهن اليها فوجدنها مظلمة وعميقة ، وكانت تترامى الى مسمعهن بين حين وآخر صيحات مخيفة تقشعر منها الابدان ، وتجثم فى مدخلها طيور ضخمة جارحة تنظر اليهن بوحشية فهال هذا المنظر الفتيات الاربع وامتقعت وجوههن وتراجعن . ولكن الجرس الفضى تذكرت ، رغم ان قلبها امتلأ خوفا وذعرا ، ان اهل القرية الذين يواجهون الموت ينتظرونها بلهفة ، فازدادت اقداما وشجاعة . واخرجت المزمار السحرى وعزفت فيه ، واذا بتلك الطيور الغريبة تستسلم لنوم عميق على رنين المزمار فأسرعت الجرس الفضى الى اختراق المغارة حتى وصلت الى واد آخر . وقتها شعرت بجوع شديد وبحثت عن شيء تأكله ، فوقع بصرها

* الفالة : من أدوات الصيد .

على رجل شايب يجلس امام خص (كوخ قشى) فى تل غير بعيد عنها . فتقدمت اليه وحيته واخبرته عن قصتها ، وسألته عن الطريق الى جبل وانهوا . فدخل الشايب الخص دون ان يفوه بكلمة ، ثم عاد اليها برغيف كبير وطاسة حساء . وبعد ان اكلت دلها على الطريق ثم اختفى هو والخص فى لمح البصر . فاستأنفت الجرس الفضى سيرها نحو الجبل بحيوية ونشاط . وسارت ثلاثة ايام بلياليها حتى وصلت اليه . سرحت الفتاة بصرها فى الافق فشاهدت جبلا جميلا يستهوى القلب بأزهاره الزاهية النادرة واعشابه الخضراء العجيبة التى لم ترها من قبل . ولكن عشبة ما ليان شيان كانت شغلها الشاغل ، فلم تكن لها رغبة فى التمتع برونق الجبل . بل بدأت تبحث هنا وهناك بحرص حتى لمحت بضع عشبات منه تنمو فى وسط الجبل فاندفعت اليها فى نوبة فرح غامرة . ولدهشتها انها وجدت تلك العشبات موضوعة فى سلة زهور تحملها غادة تلبس فستانا احمر وعلى رأسها زهرتان لونهما احمر فاتح . فسألتها الغادة عن قصدها ، فحكت لها قصة القرية ، وعندما رأت المزمار السحرى فى يدها الحت عليها ان تعزف لها ففعلت ولم يخطر ببالها ان الحانه المطربة ستجذب اليها ثلاثين فتاة يلبسن فساتين سوداء وشعرهن مزين بزهرات زرقاء ؛ واربعين صبيا فى وزرة زرقاء وعلى رأس كل منهم زهرتان حمراوان ؛ واربعين صبية فى وزرة حمراء وعلى ضفيرتى كل منهن زهرتان كبيرتان لونهما احمر فاتح . واحاطوا بها متوسلين بها لاعادة العزف . واطرقت برهة ثم اخذت تعزف فى المزمار بألحان حزينة تعبر عن ما يعانيه اهالى القرية



من الآلام والمحن ، بحيث تأثر الجميع وذرفت الدموع من اعينهم ، فأعطوها سلة مملوءة من عشبة ما ليان شيان ، وغيرها من الاعشاب السحرية . ثم اقتادتها الغادة الى حافة الجرف ، فأرسلت بصرها نحو الاتجاه الذى اشارت اليه ، فظهر امامها منظر محزن : عدد

المرضى فى القرية يزداد بسرعة فائقة ومعظمهم طريحين على الفراش يعانون سكرات الموت وقد ضجت القرية بالبكاء . كما رأت الاهالى يمدون ابصارهم مترقبين عودتها بالعشب الشافى . فاشتد حزنها وقلقها عليهم . وتمنت لو يكون لديها جناحان لتطير بهما الى القرية فورا وتوزع عليهم الدواء . ولما رأتها الغادة على تلك الحال فطنت لما يجول فى نفسها ، وطلبت منها ان تغمض عينيها ، ثم نفخت عليها نفخة واحدة ، فاذا بالفتاة تجد نفسها فى قريتها .

وهكذا نجح شيويه دا والجرس الفضى فى العثور على صفراء الفهد وعشبة ما ليان شيان خلال ثلاثة اشهر متغلبين على مختلف المشقات والاخطار ، وانقذا المرضى المحتضرين من مخالب الموت وخلصا القرية من الهلاك . فشكرهما الجميع من اعماق قلوبهم . واقاموا لهما حفلة زفاف عظيمة فعاشا زوجين متحابين . وعاد الناس الى سابق الهناء والسعادة .

جمع واعداد : ليو يان وشياو بينغ

رسم : تساى رونغ

البطل كادباى

(حكاية قازاقية)

كان فى العصور السحيقة وعلى شاطئ نهر كلاسو الجارى فى اعماق جبل كلاتاو ، رجل فقير اسمه غزن غابو يعيش على صيد الحيوانات والاسماك وكانت زوجته تنسج شبكات السمك وترقع الثياب للناس . وفى يوم من الايام وجدت زوجته نفسها حامل ، وبعد تسعة اشهر او يزيد بقليل ، انجبت ولدا ريانا ناصع البياض له رأس مستدير ، فطار والداه فرحا واطلقا عليه اسم كادباى . نما وترعرع الولد بسرعة مدهشة ، فضحك فى اليوم السادس ، ومشى فى اليوم العاشر ، وصار فتى قوى البنية فى السنة السادسة من عمره ، بحيث اصبح قادرا على جر ثور مخصى من البئر لوحده . وتغلب على كل الاقران فى حلبة المصارعة . ومنذ ذلك الحين اخذ يساعد اباه على الصيد واتقن فن اصطياد حمار الزرد واصبح راميا ممتازا لا يفوته الهدف ابدا ؛ وقد اصطاد عددا لا يحصى من الاروية والظباء وحمير الوحش والايائل وخزنها فى كومات كثيرة ، ليوزعها على الفقراء الذين كانوا يقيمون فى الخيم بجانب النهر ، فعاشوا بفضله فى رخاء وسلام .

فى احد الايام خرج كادباى للصيد . ولما مر بسفح جبل

كلاتاو ، رأى فى اسفل جرف شاهق ذئبا اشهب اللون يمزق بمخالبه بطن فرس حامل . فأسرع اليه وامسك بذيله واخذ يضرب به الارض ، ثم رماه الى مكان بعيد ، فلم تسمع الا صرخات يائسة منه قبل ان يلفظ انفاسه الاخيرة . وقد سلخ كادباى جلده ليستفيد منه ؛ ولكن عندما التفت الى الفرس وجدها تشرف على الموت ، فأخرج من بطنها مهرا ذكرا حمله الى البيت واخذ يطعمه بحليب حمار الزرد وسماه كرقولا .

نما المهر نموا سريعا . فلم تمض ستة اشهر حتى صار حصانا طوله ستة اقدام ، له شعر لماع اصفر ضارب الى البنى . وكان يعدو بسرعة فائقة كما لو انه جواد مجنح يقدر على اللحاق بكل ما يجرى ويركض حتى ليستطيع ادراك الطيور والقبض عليها بفمه . وكان كادباى كثيرا ما يعتلى صهوته ليلاحق حمار زرد يعدو على بعد ستة جبال متسلسلة ، وفى طرفة عين يدركه ويمسكه من ذيله .

كان كادباى سخيا كريما لا تعرف كلمات " ملكى الخاص " سبيلا الى قلبه ، يواسى المساكين ويساعد الفقراء ، ولا يستبد بالآخرين . ويشارك الناس جميعا فيما يحصل عليه حتى كبر فى اعين الناس وصارت له مكانة اثيرة لديهم . وحتى ذاع صيته فى كل الارجاء .

وفى احد الايام صادف كادباى فى طريقه الى الصيد راعيا صغيرا اقرع يلبس اسمالا وهو يعول بمرارة ، فاقترب منه وسأله :

— ليش تبكى ، يا اخى ؟



فصاح الولد بصوت عال :

ــ هل يمكنك ان تشعر بالسعادة لو انتزعت امك الحنون منك ؟ هل يمكنك ان تعيش بهناء لو اختطف ابوك العظيم منك ؟

فسأله بصدق :

ــ ماذا يضايقك ؟ هل يمكنك ان تشرح لى بوضوح ؟

ارسل الصبى آهة طويلة وانهمرت الدموع من عينيه بغزارة وهو يجيبه :

ــ انا ولد فى السنة السادسة ، الابن الوحيد للبطل ميرقى . غزا الاعداء قريتنا ونهبوا كل المواشى فيها دون ان يتركوا لنا شيئا . واسروا والدى الذى كان وقتها غارقا فى النوم العميق ، لأنه بطل يستطيع ان ينام ستة ايام متتالية بعد ان يسير مسافة طويلة جدا . ارادت امى انقاذه ، فوقعت هى الاخرى فى يدهم . فذهب الاعداء

الاشرار بهما : ومنذ ذلك اليوم بقيت وحدى بلا كساء ولا غذاء واضطررت الى رعى الاغنام للاغنياء . العمل يبهضنى والحزن يسحقني والداء غالب على حتى تشققت شفتى وصار رأسى اقرع . . .

– لا تحزن ولا تبك يا اخى ، اعدك ان اعثر لك على والديك .

وما ان سمع الطفل قوله حتى غمره الفرح ، فتوسل اليه ان يقضى يومين عنده لأخذ قسط من الراحة قبل ان يذهب .

فوافق كادباى وقصد الى مأوى الرعاة . وهناك اخرج حمار الزرد الذى صاده وعلقه على حديدة ليشويه . ارخى الليل سدوله وعاد الرعاة جميعا ما عدا ذلك اليتيم . وانتظروه طويلا حتى غلب النعاس كادباى فنام . وعندئذ رجع الراعى الصغير بأغنامه . فسأله كادباى :

– ليش تأخرت ؟

فأجاب :

– بطنى يوجعنى .

فى اليوم التالى ، ساق الولد الاغنام الى المروج فرحانا كعادته . ولكنه لم يعد مساء مثل حاله فى اليوم السابق . فخرج كادباى ليبحث عنه ، فوجده مطروحا على الارض مغميا عليه . ولما افاق ، سأله عن قصته ، غير انه لازم الصمت ولم يرد عليه الا بعد ان رأى علائم الغضب قد ارتسمت على وجهه ، فقال :

– امس واليوم ، جاءت الى عند الغروب ست وزات برية تحلق فوق رأسى وتسألنى :

هل يمكث هنا كادباى الطيب القلب ؟
هل يمتلك جوادا اسمه كرقولا ؟
هل تشرق اشعته على الحديقة ؟
هل يخب جواده الاصيل ؟

فأجبتها قائلا :

انا كادباى اللطيف
وفى يدى جواد اسمه كرقولا
واشعتى تشرق على الحديقة
وجوادى يخب بلا انقطاع .

فأخذت الوزات تضربنى بأجنحتها الى ان سقطت على الارض فاقدا وعيى .

فى اليوم الثالث تنكر كادباى فى زى الراعى الصغير وسرح بالاغنام بدلا منه . وبعد ان لملمت الشمس آخر ذيولها ولف الظلام العالم بسواده الحالك ، جاءت ست وزات برية فدارت فوق رأسه ست مرات ، ثم اسفت قليلا واخذت تسأله :

هل يمكث هنا كادباى الطيب القلب ؟
هل يمتلك جوادا اسمه كرقولا ؟
هل تشرق اشعته على الحديقة ؟
هل يخب جواده الاصيل ؟

فأجاب كادباى :

اشعتى تشرق على الحديقة
وجوادى يخب بلا انقطاع .

واثارها جوابه ، فضربته بأجنحتها ضربا قويا : ولكن كادباى امسك برجل احداها فطارت هاربة وتركت حذاءها الذهبى فى يده وقد دقق كادباى النظر فى الحذاء فوجد عليه كلمات مكتوبة فاحتفظ به . ثم مضت ايام ، ولم تظهر الوزات البرية من جديد . فاستأذن الرعاة عائدا الى البيت . وهناك اعد لوالديه مؤونة تكفيهما لسنة كاملة . ثم لبس الدرع واخذ السلاح وتزود بزاد وانطلق للبحث عن والدى الراعى الصغير .

كان جواده يجرى بسرعة فائقة غير عابئ بما يعترضه من جبال وانهار وبحار ، كما لو انه نسر يطير بجناحين . كان ستون خطوة منه تعادل مسيرة شهر واحد للحصان العادى . واستمر كادباى على ظهر الجواد يسير ليلا ونهارا بلا انقطاع حتى وصل الى جبل شاهق يناطح السحاب . وفجأة بادره الجواد بقوله :

– يا صديقى كادباى ، المكان المنشود ليس بعيدا الآن وبعد اجتياز هذا الجبل سترى نهرا فى وسطه جزيرة وحيدة يعيش فيها ملك الخالدين . والحذاء الذهبى الذى فى يدك ليس الا لبنته . اما والدا الراعى الصغير فهما ما زالا محبوسين فى سجن تحت الارض ، احكم قفله ، ووضع مفتاحه فى قعر نهر واسع تتجمع فيه مياه

ستين جدولا ، ويستحيل ان يصل اليه الرجل العادى . اذهب الى سفح الجبل هناك فسوف ترى رجلا عملاقا يلاحظ الابقار . كان ملك الخالدين قد اسر هذا الرجل واتخذه عبدا ، فأطلب منه تبديل اللباس معك ، واطلق سبيله بعد ان تعطيه مالا وفيرا يكفيه فى سفره ، وابق انت مع الابقار بدلا منه . والآن ، انتف شعرة واحدة من ذيلى ، وضع سلاحك على ظهرى ، ودعنى اذهب ، لأن مكوثى هنا لا يجديك الآن . اشعل تلك الشعرة عند الحاجة ، فسأمثل بين يديك فى الحال .

ترك كادباى جواده يغادر بعد نتف شعرة من ذيله ، ثم فعل كما نصحه الجواد .

وعند الغروب ساق الابقار ليعبر بها النهر ، ولكنها رفضت النزول اليه فثارت ثائرته وامسك بسيقانها الخلفية ورمى بها نحو الجزيرة واحدا تلو الآخر فوقعت عليها محدثة صوتا مدويا . وكان لملك الخالدين بنت صغيرة لما رأت هذا المشهد صرخت فيه :

– انت مجنون ؟ لماذا رميت الابقار بمثل هذه القسوة ؟ لم لا تقول " ايتها المياه ، افسحى لى طريقا ! " كالمعتاد ؟

فصاح كادباى على عجل : " ايتها المياه ، افسحى لى طريقا ! " وما ان خرجت الكلمة الاخيرة من فمه حتى انشق النهر وظهر فى الوسط طريق فسيح .

ومنذ ذلك اليوم ، بدأ كادباى يلاحظ ماشية ملك الخالدين . وذات يوم استدعى الملك ولديه وقال لهما :

– اليوم تلد الفرس السوداء مولودها التاسع ولكى لا يخطف

المهر ليلة الولادة كما حدث فى السابق اذهبا لملازمة الفرس حتى تكشفا عن سر اختفاء اولادها .

وسمع كادباى كلام الملك صدفة ، فتبع الشابين خلسة الى حيث الفرس . ولم يمض الا وقت وجيز حتى غرق الولدان فى سبات عميق . اما كادباى فظل مستيقظا يلاحظ الفرس بحذر حتى وضعت مهرا له ذيل ذهبى عند انبلاج الصبح . وفجأة تلبدت فى السماء غيوم سوداء قاتمة وجرفت المهر فى طريقها فقفز كادباى ليمسك بالمهر لكنه لم يتناوش الا ذيله الذهبى فقطعه . فى صباح اليوم التالى ، استفسر ملك الخالدين من ولديه عما حدث فى الليلة السابقة فأجابا :

– لم تلد الفرس بعد ولم يحدث اى شيء .

بينما كان الملك بين الشك واليقين ، دخل كادباى عليه ليقول :

– يا مولاى ، خطأ ، خطأ !

فسأله الملك فى استغراب :

– ماذا حدث ؟ تكلم بسرعة !

– اقول انهما يكذبان : فلم يعتنيا بالفرس قط ، بل غطا فى النوم العميق عند منتصف الليل . وبقيت انا بجانب الفرس التى وضعت مهرا ذهبى الذيل قبيل طلوع الشمس ، ولكن جاءت سحابة سوداء من السماء ، واخذت معها المهر . وقد امسكت بذيله الذهبى لأرجعه فانقطع . اما المهر فقد خطفه النسر الجبار : : :

وقاطعه الملك سائلا :

– اين الذيل الذهبى اذن ؟

– لحظة ، يا مولاى ، لو اردت السعى وراء الارباح الفاحشة لما اخبرتك الحقيقة : تفضل وانظر ، ها هو ذا !

اخرج كادباى الذيل الذهبى من تحت ثوبه فأشرقت القاعة ببريقه فى الحال : وطأطأ ولدا الملك رأسيهما خجلا .

فقال ملك الخالدين لهم :

– اذهبوا انتم الثلاثة وابحثوا عن ذلك النسر الجبار والمهر المخطوف الصغير . لا تعودوا الى قبل العثور عليهما !

اشعل كادباى شعرة ذيل حصانه بعد عبور النهر . فظهر الجواد امامه فى الحال فاعتلى صهوته وهو يرتدى الدرع الحديدى ويحمل السلاح البتار وانطلق .

وبينما هما يسيران توقف الجواد وخاطب صاحبه قائلا :

– انظر بعيدا ، هنالك نهر نارى تمتد السنة نيرانه الى السماء . والمكان الذى تقصد اليه يقع بالجانب الآخر لهذا النهر . اغمض عينيك ولا تفتحهما حتى اطلب منك فتحهما . والا سنفنى معا .

فعمل كادباى بنصيحته وطار به الجواد بسرعة الريح وشعر فى البداية بحرارة ثم باحتراق وكى . وبعد مدة طويلة جدا قال الجواد : " افتح عينيك ! " فوجد نفسه فوق جزيرة ورأى الامهار الثمانية الذهبية الذيل والمهر ذو الذيل الابتر تأكل فى معلف ذهبى .

وعندها نطق الجواد مرة اخرى :

– يوجد فى ذروة شجرة الحور العالية تلك عش عنقاء ضخمة تغادره مرة كل ستة اشهر بحثا عن القوت وترجع اليه بعد نصف

شهر : وهي الآن خارجة وستعود بعد ستة ايام . فيجب علينا ان نقطع خلال الساعات الست مسافة ستة اشهر حتى لا نقع فى قبضتها . فاعتل صهوتى وضع المعلف الذهبى امامك ، فسوف تتبعنا الامهار .

ثم استدرك قائلا له :

– سنضطر الى التعرج لعبور النهر النارى بدلا من السير فى الطريق المستقيمة ، ولذا سيكون طريق العودة اطول . وبالاضافة الى ذلك ، سيجابهنا فى الطريق الغول ذو الرؤوس السبعة والاسد الابيض والساحرة واحدا بعد الآخر ، ولا يمكننا ان نرجع الى ملك الخالدين الا بعد انتصارك عليها جميعا . اظهر جبروتك وقوتك الآن . حسنا . هيا بنا ، نعود بلا ابطاء .

وضع كادباى المعلف على عنق الجواد الذى بدأ يعدو بخطوات واسعة متبوعا بالامهار التسعة .

وبعد ساعات ، بدا امامهم جبل عملاق يدنو اليهم مترنحا بزهو وتيه . انه الغول ذو الرؤوس السبعة بالذات . فوضع كادباى المعلف على الارض لتلتف الامهار حوله .

ثم اهوى بقضيبه المسنن الثقيل ، وهو على صهوة الجواد المندفع نحو الغول ، على احد رؤوسه فحطمه ، وعاد يضرب الرأس الثانى ثم الثالث ، فالرابع . . . حتى قطع رؤوسه السبعة كلها وسقط الغول على الارض هامدا . فقلع كادباى عيونه ودسها فى حقيبته الطويلة .

ووضع كادباى المعلف الذهبى على ظهر الجواد ثانية واستأنف

السير بالامهار التسعة . كان الجواد يجرى بسرعة البرق . وفى طرفة عين اجتاز بصاحبه ستة اجرف عالية .

وترامى فجأة الى مسمعهم زئير اسد مدوى . فشد الجواد مع الامهار فى رسن واحد ، واندفع نحو مصدر الصوت . غير انه لم يجر الا خطوات حتى شعر بقوة جاذبة تشده الى الامام . وفى لحظات ، رأى كادباى شدقى الاسد الواسعين يخرج من بينهما هواء شديد يجذبه اليه . فأمسك سيفه الطويل بالعرض . وعندما صار كادباى بين شدقى الاسد شقه الى نصفين بسيفه . ثم خلع اسنانه البيضاء ليضعها فى الحقيبة الطويلة .

وواصل كادباى سيره على صهوة جواده الذى اطلق سيقانه للريح تاركا وراءهم عددا كبيرا من الجبال الشواهق . وفجأة ساد الدنيا كلها ضباب اسود دامس ، فتلمسوا طريقهم فى الظلام اعتمادا على ضوء خافت منبعث من ذيول الامهار الذهبية . ولاح امامهم امرأة فاتنة بالغت فى التدلل والغنج . فترجل كادباى متوجها نحوها . فثبتت عينيها فى وجهه وقتا طويلا ، ثم قالت :

— لقد سرت مسافة طويلة جدا وتعبت كثيرا ، فتفضل الى بيتى المتواضع لأخذ قسط من الراحة .

ولم تكن هذه الفتاة الا تلك الساحرة المتنكرة .

فأجاب كادباى :

— حقا ، اشعر بارهاق واريد الراحة . فخذينى الى بيتك .

فتقدمته الساحرة ، وقبل ان تتفوه بكلمة ، رفع كادباى سيفه القاطع وضرب به رأسها بقوة . فانبثق من سيفه نور وهاج ثم خيم

على العالم بأسره ضباب اسود من جديد . وبعد برهة تبدد الضباب ، واذا بالساحرة مقطوعة نصفين فاحتز رأسها ووضعه فى الحقيبة .

وقتها قال الجواد لصاحبه :

– يمكننا ان نستريح الآن لأن هذه البقعة لا يصل اليها احد خوفا من الساحرة كما ان العنقاء لن تأتى فى هذا الوقت لأنها لم تعرف موتها بعد . نستطيع ان نبقى هنا ثلاثة او اربعة ايام .

فمكثوا اربعة ايام . وبعد ان جمع كادباى نفائس الساحرة ووضع المعلف الذهبى على صهوة الجواد عاد بكل الامهار ذات الذيول الذهبية الى ملك الخالدين بسلام .

واقام الملك مأدبة فاخرة لاستقباله . وبينما هم يجلسون حول الموائد ، رجع كل من ولديه صفر اليدين ، مجرجرا رجليه منهوك القوى .

واستدعى الملك كادباى الى الجلوس فى مقعد الشرف وسأله عن سلسلة نسبه . فأجابه :

– لست ملاكا ، بل انا رجل عادى ، اسمى كادباى ، ويسمينى الناس كادباى صاحب الجواد كرقولا . جئت هنا لا من اجل النزهة والتفرج ، وانما لأمر هام . سأخبرك عنه ان سمحت .

– قل لى ، يا ولدى .

– قبل سنوات ، غزا رجالك قريتنا ونهبوا كل ما امتلكنا من الثيران والاحصنة والاغنام . كما اختطفوا بطلنا فى غفوته . فجئت لانقاذه . هذه مهمتى الرئيسية . والثانى ، ذات يوم وقد كنت ارعى الغنم ، حومت ست وزات برية فوق رأسى ، فسقط

حذاء ذهبى لاحداها فى يدى . وسمعت انه من نتاج بلادكم . فجئت به لرده الى صاحبته .

ثم قدم الحذاء الذهبى الى ملك الخالدين . فقال الملك :

— يا ولدى ، انا الذى امرت بسوق كل الثيران والاحصنة والاغنام فى قريتك الى هنا وبأسر بطلكم ميرقى وزوجته اللذين ما زالا محبوسين فى سجنى تحت الارض . لقد قلت له مرة : " سأطلق سراحك اذا دخلت فى خدمتى . " غير انه ابى الخضوع والاذعان وقال : " لن اخدم عدوى اللدود . " واذا خليت سبيله فسيصفى الحساب معى . يا له من بطل عنيد .

واستطرد يقول :

— عرفنا منذ زمن شهرتك وشجاعتك . كنت افكر فى استدعائك الينا لتساعدنا فى قتل ذلك الطير الغريب ، خاطف امهرنا . وبحثت عنك بنفسى دون جدوى . فأرسلت رجالى الى قريتك حيث سلبوا مواشيكم وخطفوا بطلكم على امل انك ستأتى الينا . وانتظرنا . سنتين كاملتين ولم ابصر اثرا لك . لذا بعثت بناتى الست للبحث عنك . ان الحذاء الذى فى يدك هو حذاء بنتى الصغرى بالضبط . سأطلق سراح بطلكم وارد كل مواشيكم وممتلكاتكم ، كما سأزوجك ببنتى الصغرى شريطة ان تنجح فى قتل الغول ذى الرؤوس السبعة والاسد الابيض والساحرة وقطع رؤوسها .

هنا ، انزل كادباى عن جواده حقيبته الطويلة واخرج منها اسنان الاسد ورأس الساحرة وعيون الغول . فسر ملك الخالدين سرورا عظيما ، وشكره الف مرة ، ووفى بوعده : اعاد الحرية

لميرقى وزوجته وغيرهما من الاسرى ورد اليهم جميع الاملاك والمواشى التى نهبوها منهم . وزوجه ببنته الصغرى واقام لهما حفلة زفاف فخمة . واخيرا اوصله الى قريته بعد ان اعطاه مكافأة كبيرة . فرجع كادباى بالثيران والغنم والخيل وردها الى اصحابها .

عم الفرح والابتهاج كل القرية وعلت على وجوه الناس جميعا ابتسامة حلوة . واقاموا احتفالات عظيمة معبرين عن فرحتهم وشكرهم لكادباى . ومنذ ذلك الحين عاش الاهالى فى هناء وسعادة دون ان يجرؤ احد على غزو قريتهم .

اعداد : لى يونغ
رسم : تشو يان لينغ

فستان من الريش الابيض *

(حكاية من قومية دونغشيانغ)

فى قديم الزمان ، عاشت فتاة من اهالى دونغشيانغ تدعى فاطومان ، وخطف الموت امها وهى صغيرة . وكانت زوجة ابيها امرأة شريرة تفننت فى تعذيبها وايذائها . وكانت فاطومان شديدة الذكاء ، تؤدى كل مهمة تكلفها بها زوجة ابيها خير اداء .لكن زوجة الأب كانت تزداد عليها حقدا بمرور الوقت حتى قالت لنفسها يوما :

– الحل الوحيد يكمن فى التخلص من هذه الفتاة المتعبة .

فلما بلغت فاطومان الثالثة عشرة من عمرها باعتها الى رجل شرير ذى لحية سوداء فى مقابل خمسين تايلا من الفضة . وتم الاتفاق على اساس ان يأتى فى غضون ثلاثة ايام ليأخذها . واغلقت باب البيت الامامى والخلفى ، ولم يبق مفر لفاطومان ، فصارت مثل خشف سقط فى حفرة ، مذعورة ، مكروبة ، يائسة .

وبينما هى على هذه الحال ظهر فى اعالى السماء سرب من الحمام ، فتطلعت فاطومان من النافذة الى تلك الطيور الحرة

---

* حكاية مستمدة من البيئة الطبيعية لقومية دونغشيانغ التى تكثر فيها انواع من العصافير الرمادية القبيحة التى تعبث بالأشجار والمزروعات .

السعيدة ، فغبطتها وتمنت لو طارت معها فى السرب . ثم جلست الى جوار الباب واخذت تشدو فى عذوبة :

خذنى معك يا حمام
الى السماء البعيدة
لو كان لى مثلك جناحان
لكنت مثلك سعيدة

وادركها النعاس وهى تغنى ، فنامت . اما الحمامات فلما سمعن صوت غنائها نزلن اليها ، وانتزعت كل واحدة ريشة من جناحها ووضعتها على فراشها .

واستيقظت فاطومان على خفق الاجنحة ، فوجدت بجانبها كومة من الريش ، وشعرت بسعادة غامرة تكسوها . ثم اضاءت سراجها وبدأت تصنع لنفسها فستانا . وظلت تعمل ساعة بعد ساعة ، من الليل حتى الفجر ، بابرة دقيقة وانامل ماهرة ، حتى ظهر امامها فستان ابيض فتان خفيف .

مر يومان : وفى صباح اليوم الثالث ، جاء الرجل الاسود اللحية ، يسحب حصانا ليحمل عروسه . وفزعت فاطومان فأغلقت غرفتها على نفسها . وتظاهرت زوجة الأب بالحنان ووقفت الى جوار الباب تنادى :

— افتحى الباب يا طفلتى المحبوبة .

فردت عليها فاطومان :

— انا ارتدى ثيابى يا اماه .

وانقضت دقائق معدودة ، ونفد صبر زوجة الأب ، فنادت :

ـ ألم تنتهي من ارتداء ثيابك يا فاطومان ؟

ـ اريد غسل وجهي لو سمحت .

ومرت دقائق اخرى ، واشتد غضب زوجة الأب ، فصاحت:

ـ ألم تنتهي ايتها الفتاة الوقحة ؟

ـ كلا ، انى البس ملابسي .

ونادت زوجة الأب وقد فرغ صبرها ، على الرجل الاسود اللحية ليدفع الباب ، فهرع الاثنان الى الداخل . كانت فاطومان قد انتهت من ارتداء فستانها الرقيق الريشي . وقبل ان يمسكاها تحولت الى حمامة بيضاء ، وطارت مرتفعة الى عنان السماء ، ثم اختفت عن الانظار .

استمرت فاطومان فى طيرانها حتى توارت الشمس وراء الافق ، واخذت تشدو فى اسى :

كو كو كو .. آه يا قلبى العليل
آه يا روحى الشريدة
ما لى احد بين السماء والغمام
اين المفر يا فؤادى ؟

وسمع هديلها صاحب مقهى مسن فى طرف احدى القرى ، فأجابها منشدا :

لا تنوحى يا حمامة
خففى عنك العنا

منزلى رحب وفيه
كل اسباب الهنا

ثم وضع العجوز ثلاثة اباريق شاى على المنضدة ، واحد منها ذهبى والثانى نحاسى والثالث من حديد . وتناول ابريق الشاى الذهبى ، وصب منه ماء نقيا بلوريا فى كوب يشبى ، ثم وضعه على منضدة قرب الباب ونادى على الحمامة :

– ايتها الحمامة البيضاء الصغيرة ، تعالى واشربى .

كان الظمأ قد امسك بتلابيب الحمامة بعد طيران طويل ، واسعدها حنان الشيخ ، فنزلت لتشرب . وحدث ان اقترب الرجل ليلمس ريش الحمامة الجميل ، فتحولت الى فتاة جميلة . ففرح بها الشيخ ، وسألها عن اسمها ومن اين جاءت . فأجابته وقصت عليه قصتها . ثم التمست منه ان تقيم معه ، فرحب بها . وبقيت فاطومان فى المقهى مع الشيخ وادت له خدمات كثيرة ، واعتنى هو بها كما يعتنى بابنته .

وذات يوم قال لها :

– عندى ثلاثة اباريق على منضدة الشاى ، ابريق الشاى الذهبى للخالدين ، والنحاسى للناس العاديين ، والحديدى للأشرار . وحين تصبين شايا للناس العاديين ، استخدمى الابريق النحاسى .

وذات يوم اخذت الدلو لتحضر ماء ، ففوجئت بزوجة ابيها والرجل الاسود اللحية يصعدان الجبل . فانتابها رعب شديد واسرعت



عائدة الى البيت ، واخذت تفتش عن فستان الريش ، وقالت للقهواتى الطيب القلب وهى تلهث :

— جاءت زوجة ابى ... جاءت زوجة ابى !

فرد عليها القهواتى بحنان :

— لا تخشى شيئا يا ابنتى ، اجلسى هادئة فى الغرفة ، فأنا اعرف كيف اتعامل معهما .

وصل الشريران الى قمة الجبل ، ثم دلفا الى المقهى ، وناديا :

— ايها العجوز ، سمعنا ان فتاة غريبة جاءت اليك وطلبت الاقامة عندك . اخبرنا اين هى .

فرد عليهما :

— الغريب الوحيد الذى جاء هنا حمامة بيضاء طلبت ملجأ عندى لأن هناك من يريد ايذاءها .

فقالت زوجة الأب :

— انها هى ... انها ابنتى .

وصاح ابو اللحية السوداء :

— انها هى ... انها زوجتى .

وصاح الاثنان :

— اسرع ايها العجوز ، ودلنا عليها .

فرد عليهما الرجل الطيب القلب وعلى شفتيه ابتسامة :

— لا تتسرعا ، لا تتسرعا ، اننى على يقين انكما فى اشد الظمأ بعد ان قطعتما كل هذه المسافة فى هذا الجو اللافح . تعالوا واشربوا الشاى اولا .

وتناول ابريق الشاى الحديدى وصب منه شايا فى كوبين وقدمه لهما . وما ان تناولا رشفة من الشاى حتى تحولا الى عصفورين صغيرين رماديين ، يسقسقان ويقفزان تحت المنضدة . ولوح العجوز

بيديه وطردهما . فطارا وحطا على شجرة . ثم نادى على فاطومان التى كانت ما زالت مختفية وهو يتضاحك :

– تعالى يا ابنتى ، انظرى الى هذين الشريرين ، ها هما على تلك الشجرة .

خرجت فاطومان لتتفرج عليهما ، فصاحا عليها :

– عودى الى البيت ! عودى الى البيت ايتها البنت الوقحة !

فتناول العجوز حجرا وطردهما بعيدا .

وبعد فترة وجيزة ، وبينما كانت فاطومان جالسة بجانب الموقد تغلى الماء ، عاد العصفوران واخذا يسقسقان :

– عودى الى البيت ! عودى الى البيت ايتها البنت الوقحة !

وظلا فى صخب متواصل . فقالت فاطومان لعمها القهواتى وقد اعتراها قلق شديد :

– اطردهما بعيدا يا عم .

فتناول غصنا طويلا وطارد به الخبيثين المقلقين للراحة حتى ابتعدا عن المقهى . لكنهما عادا بعد وقت قصير يكرران نداءهما :

– عودى الى البيت ! عودى الى البيت ايتها البنت الوقحة !

وتوسلت فاطومان للشيخ قائلة :

– ارجوك يا عم ، ارجوك اطردهما بعيدا عنا ، فصوتهما المتواصل يزعجنى .

وعندئذ تناول الشيخ وذرة من العجين ورماها فى الهواء ، فتحولت على الفور الى صقر . وسرعان ما توجه الصقر صائحا نحو الشجرة التى حط عليها العصفوران المقلقان ، فهربا مرتعدين ولم يعودا ثانية .

حكاية ابن التاجر المغفل

(حكاية من قومية هوى المسلمة)

منذ أزمان ، عاشت فى قريتنا المسلمة ، عائلة تاجر ثرى امتلكت كثيرا من الفدادين وعددا كبيرا من خيول النقل . ورغم ان التاجر قد تزوج من عدة نساء ، الا انهن لم ينجبن له الا ولدا واحدا — اسمه آفو — كان يعتز به اعتزازا بالغا .

المثل القائل " هذا الشبل من ذاك الاسد " ينطبق تماما على عائلة التاجر ، لأن الغلام آفو ، حين شب ، اثبت انه مثل ابيه فى كثير من الامور . فقضى ايامه يدخن السجائر ويلعب القمار ويعاقر الشراب .

كانت للتاجر قافلة تتألف من مائة حصان واكثر يقودها ما يزيد على ثلاثين مكارى . وحين تعود القافلة ، فى كل مرة ، من رحلتها يكتظ فناء بيت التاجر بالفضة والمواد الغذائية وكل انواع البضائع . ويقعد المكارية يتحدثون فى متعة شديدة عن الاوقات الحلوة التى امضوها فى الرحلة . وعندما كانوا يتحدثون عن الفواكه بألوانها المتعددة يسيل لعاب الغلام آفو بدون ارادته .

وذات يوم ، خسر آفو كثيرا فى لعب القمار . وبعد عودته الى البيت قال لأبيه :

ـ يا ابت ! اريد ان اخرج الى العالم لأفتش عن حظى واستمتع بالحياة .

سر التاجر سرورا عظيما بما قال ابنه ، ورد عليه :

ـ رائع . فأنت اذا ذهبت فى رحلة مع قافلتنا فسوف لا يستطيع هؤلاء المكارية غشنا . لقد اعتنيت بهم طوال حياتهم ، ولكنهم يقولون للناس دائما اننى اثريت على حسابهم . اف لهم ! انهم جميعا جاحدون لجميلى .

ثم تنهد وقال :

ـ آفو ، يجب عليك ان تتعلم التجارة ، وسترث ثروة عائلتنا بعد ان ارحل عن الدنيا .

ثم استدعى التاجر المكارية وقال لهم :

ـ من الآن فصاعدا ، سيصحب آفو القافلة ، وهو مسؤول عن معالجة الاعمال التجارية كلها . وعملكم سيقتصر على الاهتمام بالخيول ، وينبغى ان تتصرفوا وفق اشارته بدون سؤال .

لم ينبس المكارية بكلمة واحدة . وفى اليوم التالى ، حملت القافلة لفافات القماش وزينات النساء والملح واشياء اخرى للمقايضة والبيع . واولم التاجر وليمة دعا اليها الجيران والاقارب وتليت فيها آيات من القرآن . ثم تحركت القافلة نحو هدفها .

الرحلة بالنسبة للفقراء تجربة قاسية ، ولكنها تجلب المتعة للأثرياء . وقد تلقى آفو المساعدة من المكارية عند امتطائه لجواده وترجله عنه ، ونال افضل رعاية حيثما نزل ليستريح او توقف ليلا .

ورغم ان هذه اول مرة يبتعد فيها آفو عن بلدته ، الا انه

كان على ثقة بأنه يعرف كل شيء عن التجارة وسيكون موفقا فى استدرار الاموال .

واصلت القافلة سيرها حتى وصلت الى احدى المدن . كانت المدينة صغيرة ، لكنها تعج بالنشاط . فأمر آفو اثنين من المكارية ان يصطحباه فى التجوال بها . ووجدوا مطعما اسلاميا ، وتناولوا وجبة دسمة ، ثم اخذوا بالتمشى . وحين وصلوا فى تمشيهم الى احد الشوارع رأوا حشدا من الناس امام دكان صغير . وشق آفو المتشوق لمعرفة ما جذب الناس ، طريقه بين الجمهور ، فلحظ رجلا يمسك بفرشاة ليضع علامات دقيقة على الورقة ، كان يغمس الفرشاة فى مداد اسود حينا ، ويخط كثيرا من الخطوط على الورقة حينا آخر . ورآه يأخذ حفنة من النقد الفضى من احدهم فى مقابل هذه الورقة .

وسأل آفو مرافقيه :

ـ ماذا يصنع هذا الرجل ؟

ـ يكتب . هذه الفرشاة جلبت له شهرة واسعة .

ـ أيمكنه جمع اموال طائلة من هذا العمل ؟

ـ بالطبع يمكن . بهذه الفرشاة فى يده يمكنه ان يجمع كومة من الفضة فى يوم واحد .

ـ رائع ! يا لها من طريقة عجيبة لجمع الاموال : سأحمل معى عددا من هذه الفرش فى عودتى .

ثم قال آفو لأحد مرافقيه بعد التمعن فى الامر بعناية :

ـ اذهب واسأله كم فرشاة عنده لأشتريها .

لم يجرؤ المكارى على سؤال سيده الشاب عن الحكمة فى ذلك ، فذهب وسأل . وفى البداية ، لم يرغب الرجل فى بيع فرشه ، ولكنه وافق بعد اقناع طويل على بيع اثنتين منها مقابل حمولة عشرين حصانا .

وامر آفو بتحويل الحمولة الى الرجل ، واخذ منه الفرشتين ، ووضعهما فى جيبه . وقال آفو لنفسه مبتسما :

ـ ها ، ها ، ستتدفق على الاموال وقتما ارغب . كل ما دفعته فى مقابل الفرشتين السحريتين هو حمولة عشرين حصانا فقط .

وشعر بالسعادة تغمره . وفى اليوم التالى واصلت القافلة سيرها دون ان يحدث لها حادث ، الى ان توقفت لتناول الغذاء واخذ الراحة . وكان هناك فلاح يكدح فى حقله ، على مسافة غير بعيدة من القافلة ، لا يعبأ بأشعة الشمس اللاهبة ولا الرياح الشديدة .

وسأله آفو بفضول :

ـ ماذا فى يديك ؟

اجابه الفلاح :

ـ معزقة . استخرج بها ذهبا وفضة واحصل على الغذاء واللباس .

ـ اوه ، رائع ! ذهب ، فضة ، غذاء . . . كل ما تشتهى . كم عندك مثلها ؟

ـ كم ؟ واحدة تكفينا فى المعيشة .

غرق آفو فى التفكير : هذه المعزقة ستجعلنى واسع الثراء بلا ريب .

فقال للفلاح :

ــ بعها لى يا رجل .

وحاول آفو ان يقنعه ، مشيرا بيده الى حمولة قافلته :

ــ انظر ، كم من خيول محملة معى ! خذ ما يروق لك من البضائع .

وناول الفلاح الذى طلب ثلاثين حملا ، المعزقة الى آفو .

وقال آفو لنفسه مسرورا :

ــ ها ، ها ، سأحصل على كل ما احلم به دون ان ادفع سوى ثلاثين حملا !

ثم انطلق هو ومرافقوه راكبين على الخيول . ووصلوا الى مدينة اخرى ، فطلب آفو من مرافقيه ان يمكثوا فيها ليوم واحد . وذهب كعادته مع اثنين من المكارية للتجوال . وحين بلغوا مفترق الطرق شاهدوا جمهورا من الناس ، فأخذ آفو طريقه الى داخل الصفوف ، فرأى رجلا يلعب بصندوق خشبى يمنة ويسرة . وسأل آفو مرافقيه :

ــ ماذا يصنع ؟

وكان جوابهما بأنه ساحر .

اخذ آفو يرقبه باهتمام . وفى حركات خاطفة دار الرجل بالصندوق ليراه الجمهور وهو فارغ . ثم غطاه بمنديل ولفظ بعض الكلمات الغريبة ونادى :

ــ تعال ! تعال ! تعال !

ثم ازاح المنديل ببطء ، فظهر فى داخل الصندوق ارز واطباق ونقود وحلويات وغير ذلك مما لا يعرفه .

وفكر آفو : ان هذا الصندوق افضل من كل ما اشتريته .
فقال لأحد مرافقيه :
— اعرض عليه بقية بضائعنا من الاربعين حملا فى مقابل صندوقه .
ولكن المرافق قال له :
— يا سيدى ، ألا ترى ان هذه خدعة ؟
فأنبه آفو قائلا :
— لا تحاول ان تستفسر عما اصنع ! وما عليك الا ان تفعل ما اقول !
ثم قال لنفسه ضاحكا :
— ها ، ها ، طعام ، شراب . . . كل هذا فى مقابل اربعين حملا . سأحقق ثروة اكبر مما لدى والدى .
لم يبق الآن عند آفو سوى خيوله . واخذ فى التفكير : صارت القافلة مجرد تسعين خيلا دون ان تحمل شيئا . ومع ذلك فلا بد ان اصرف نقودا كثيرة من اجلها عندما تبيت فى المبرك .
والتمعت فى ذهنه خاطرة وهى توزيع الخيول على مرافقيه لينصرفوا بها الى حيث يشاءون . وفعل آفو ذلك ، فابتسم المرافقون كلا للآخر ، وارتحلوا .
وقال آفو لنفسه :
— يا لهم من حمقى ! سيترتب عليهم جميعا ان يدفعوا نفقات للخيول ولأنفسهم من جيوبهم ، ومع ذلك عادوا منشرحين .

ها ، ها ! ما اسهل التجارة فى هذه المرة ! سأجنى ثروة بكل هذه الكنوز .

ابقى آفو معه حصانا واحدا . وبعد ان امضى يومين آخرين فى المدينة ، شرع فى العودة الى البيت وفى حوزته فرشتان سحريتان ومعزقة سحرية وصندوق سحرى .

كان آفو فارسا ماهرا ، ولكنه لم يرغب فى الاعتناء باحتياجات الحصان . فاشتد فى السير بلا هوادة حتى خر الحصان ميتا فى الطريق ، فترجل واخذ يجلد حصانه البائس بشدة . وبالطبع لم يتحرك الحصان ابدا . فاضطر آفو فى الاخير ان يسير على قدميه حاملا اشياءه السحرية .

ولم يقطع سوى مسافة قصيرة حتى تنفطت قدماه وتشنجت ساقاه . وسار فى اليوم التالى بكامله ، وصرف ما تبقى معه من مال على الطعام والماء . وعند ظهر اليوم الثالث ، آلمته قدماه وساقاه كثيرا ، فلم يستطع التقدم . فجلس على جانب الطريق للاستراحة وتذكر ان الوقت قد ازف لاستخدام اشيائه السحرية . فأخرج الصندوق السحرى ودار به مرات عديدة وغطاه بمنديله ، ثم صاح :

— ايها الصندوق السحرى ، قدم لى سمكا ولحما ! واحد ، اثنين ، ثلاثة !

ونزع منديله من على الصندوق ببطء ، ولكن الصندوق ما زال فارغا . غلى آفو غضبا ، ورفع السوط وانهال به وعلى الصندوق حتى تقطع اربا اربا .

وواسى نفسه قائلا :

— لا بأس فى ذلك . اذا فشل واحد فما زال لدى اثنان . كان الصندوق خدعة ، اما المعزقة فحقيقية .

فتناول المعزقة والقى بها على الارض ثلاث مرات ، ثم صاح :

— ايها المعزقة السحرية ! قدمى لى سمكا ولحما ! هيا ، هيا ، هيا !

تفحص الارض بعناية ، فلم يجد الا التراب . وحاول ثانية ولم يحدث شىء . فالتهب غيظا ، والقى المعزقة عاليا فى الهواء ، ولكن ثقل نصلها الحديدى ردها ، فهبطت . ولم تصب الا رأس آفو ، فصرخ من الالم ، وجلس يفرك رأسه بيديه . وبعد لحظات ، قال لنفسه مواسيا :

— لا بأس فى ذلك . لا بد ان افوز بواحدة من الثلاثة . وما زال معى فرشتان فى جيبى . وينبغى ان اسرع الى مركز المحافظة لأجمع الاموال الطائلة بهما .

لكنه شعر بثقل فى ساقيه ، فاضطر الى السير ببطء شديد . وعندما وصل الى قرية صغيرة كان الجوع ينهش معدته ، فتناول فرشة ، وبدأ يخطط بها على الارض . وما هى الا لحظات قصيرة حتى جذبت تخطيطاته انتباه عدد من النساء والاطفال . وظل يخطط والجمهور يتزايد عددا . ولكن لم يناوله احد فلسا واحدا ، ثم نادى :

— فرشتى السحرية ، فرشتى السحرية ! اعطينى كومة من النقود . ان اراد احد ان اكتب له فليسرع ويناولنى فلوسا .

ظل ينادى ولكن لم يمد احد يده اليه ، ونادى للمرة الثانية

والثالثة والرابعة ، وبدأ المتفرجون يضحكون . وبعد ان نادى المرة السابعة والثامنة والتاسعة جف حلقه ، ولم يعد قادرا على المناداة .

واظلم الليل شيئا فشيئا ، وانصرف الناس الى بيوتهم .

تثبيت نصب التنين *

(حكاية من قومية هوى المسلمة)

كان يا ما كان فى قديم الزمان ، عاش عجوز يسمى ما ينغ شينغ وزوجته فى قرية فى كونمينغ .

وقد مضى عليهما زوجين ثلاثين سنة او يزيد وليس لهما خلف — اوه ! كم هما متشوقان ان يكون لهما ولد !

وكانا يبتهلان الى الله فى كل يوم :

— هبنا طفلا يا رب يا رحيم .

وجاء يوم شعرت المرأة انها حامل . فما كان اعظم فرحتهما !

ومر عام ولم يأت المولود . وانسلخ عامان ولم يظهر الطفل .

فقال لها العجوز :

— يبدو انك تعانين من داء الاستسقاء . والا كيف يدوم الحمل سنوات ؟

وجاء المولود فى الحول الثالث . فابتهج الزوجان وبللت وجناتهما دموع السعادة . ولكن الوضع جاء لسوء الحظ فى اثناء جفاف

---

* شاع اعتقاد بين قومية هوى ، انه وجب ان يثبت شخص متمكن بمجارى الماء نصب التنين على كهف التنين طلبا للمطر في ايام الجفاف . والنصب مصنوع من النحاس منقوش عليه كلمة " التنين " .

مروع ، لا قبله ولا بعده : وسمى العجوز وليده : قنهان ومعناه "فى زمن الجفاف ."

واستطاع قنهان ان يسير فى بحر شهرين ، ونطق فى الشهر الثالث . وخرج مع امه الى الجبال لالتقاط الفطريات وجمع الحطب ، وهو فى الشهر السادس .

وشحت السماء ولم تنزل قطرة لعامين . فاستحالت زراعة الحقول واضطر الفلاحون ان يبحثوا عن لحاء الشجر وجذور الاعشاب لتخفيف وطأة الجوع .

وذات يوم ، جاء قنهان الى امه يسألها :

— لماذا لا نزرع الارز لنأكل ؟

— الملك التنين حبس عنا المطر يا ولدى . ولهذا السبب لا نستطيع ان نزرع الارز .

— ائذننى لى يا أماه ان ابحث عن الملك التنين ؟

فردت عليه الام :

— اسمع يا ولدى . الملك التنين يقيم فى قصر التنين . وان اردت ان تعثر عليه وجب عليك ان تعرف اولا وقبل كل شيء كل ما يتعلق بمسالك الماء .

وصار قنهان يغدو فى كل يوم الى بحيرة التنين الاسود ليتعرف على مسالك الماء : وواصل التدريب سواء أكان الجو باردا ام دافئا . وكان يسبح ويغطس ويتلمس الطريق فى الماء بحثا عن قصر التنين .

لا بد ان قصر التنين فى قاع البحيرة . ومر يوم . . يومان . .

شهر ، ولم يعثر له على اثر . ومر شهر آخر ولم يظهر له بصيص ، فى الحق ، استمر يبحث مئة يوم كاملة بلا جدوى .

وذات يوم ، وبينما قنهان مجهد من البحث ، هجم عليه النعاس وغط فى النوم فى الماء .

ولم يكد يغلق عينيه حتى رأى فى المنام انه وصل الى قصر باهر الانوار ، وبرزت له اميرة جمالها اخاذ ، من داخله ، واخذت تتهادى نحوه . وكانت تلبس كساء من المرجان النفيس . وحذاؤها من العقيق الاحمر واللآلىء . وكان يشع من محياها النور ووميض ناظريها اشبه بقمر خريفى فتان .

ولهث قنهان فى دهشة لمنظر الاميرة .

وكسرت الاميرة حاجز الصمت وقالت له :

— اذا اردت يا قنهان ان تجد قصر التنين فعليك ان تبحث بادئ ذى بدء عن كهف التنين . هيا واغتنم الفرصة والملك التنين ما زال نائما .

وجاء صوتها المرنان مثل رنة الناقوس ، وخرجت من ثغرها لؤلؤة مع كل كلمة تفوهت بها .

واخبرت قنهان ايضا بوسيلة العثور على الملك التنين . وقبيل ان تنتهى من كلامها . تلاطم الماء فجأة ، واستدارت وهربت . وهم قنهان ان يجرى فى اثرها ، ولكنه وجد نفسه يطفو فوق سطح الماء . واستيقظ من حلمه فى الحال وسحب نفسا عميقا من الهواء النقى . ثم استأنف بحثه فى الاتجاه الذى وصفته له الاميرة . فوجد بالفعل كهفا بارتفاع قامة الانسان . ودلف الى داخله .

وكان حالك السواد من الداخل والماء بارد كما الثلج : واستجمع قواه وتلمس طريقه الى اليسار والى اليمين ، ومن هذا المسلك الى ذاك ، وكان كل ما لمسته يداه اشبه بالسكاكين ، وهى صخور حادة الاطراف مدببة . واخيرا ، وجد فى نهاية الكهف بوابة بضلفتين موصدة باحكام ، تدثرها الاشواك . فدفعها قنهان بيديه فتصدعت ، وحاول ان يدخل جسده فتخدش وتمزقت ملابسه . وحاول ان يشق طريقه يوما بطوله ، ولكن ضاعت جهوده ادراج الرياح . ودق على البوابة الليلة بكاملها ، ولكنها بقيت موصدة باحكام . وهنا تدثرت يداه وقدماه بالدماء .

وتناهى الى مسامع قنهان همس نداء من الاميرة :

— يا قنهان ! ان اردت ان تفتح البوابة فاسرع بالحصول على نصب التنين .

وغادر قنهان الكهف على مضض والتقط اعشابا طبية من الجبال الخلفية لعلاج جراحه .

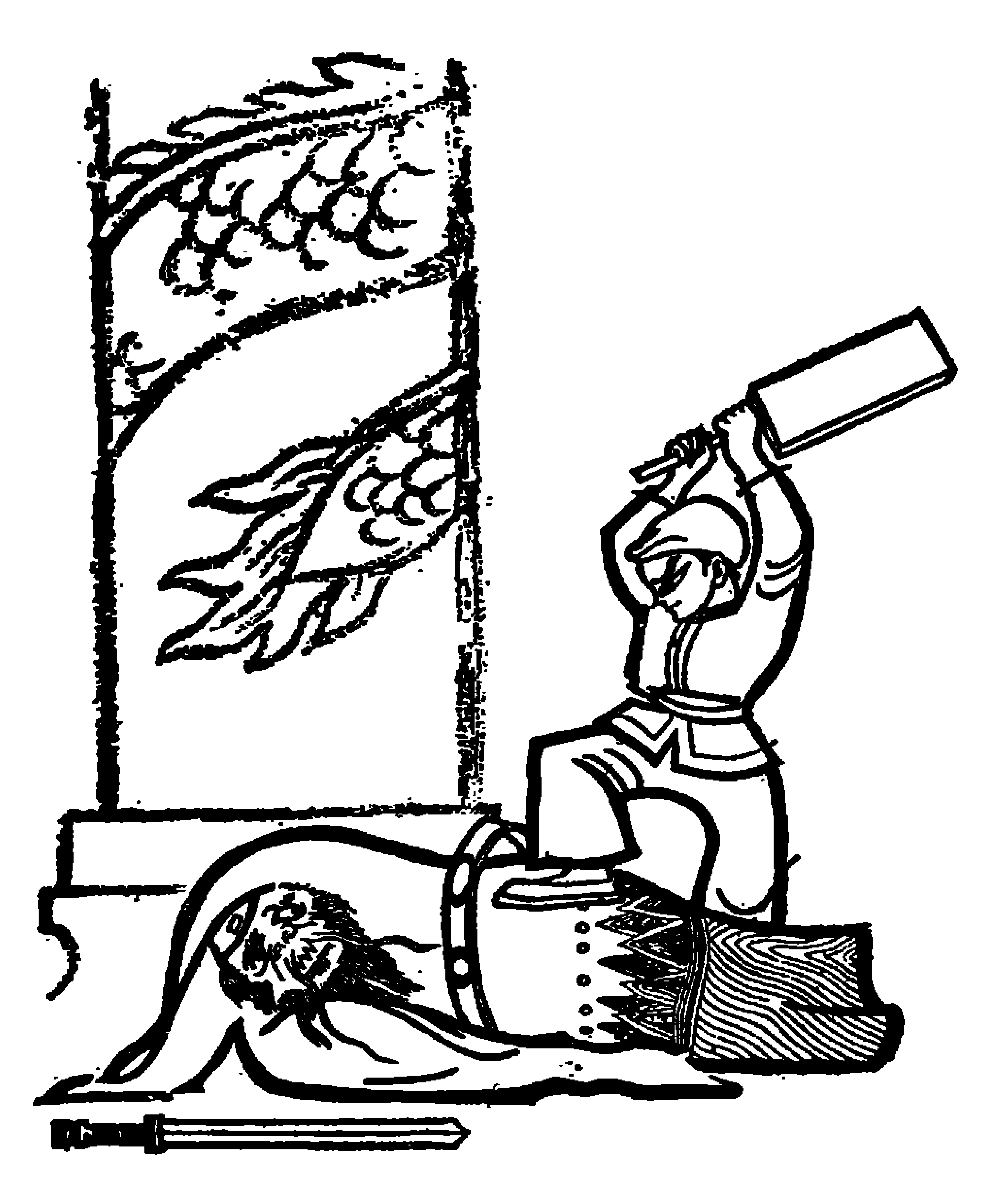
ولدى عودته الى البيت سأل امه :

— اين اجد نصب التنين يا امى ؟

— نصب التنين ، يا ولدى ، فى المسجد .

وانطلق الفتى من فوره الى المسجد .

وكان ذلك اليوم هو يوم الجمعة ، واحتشد فيه المسلمون لصلاة الاستسقاء . وقد مضى عليهم اربعون يوما يتداولون فى الامر ولم يتوصلوا الى قرار . والمشكلة التى وقفت امامهم انهم لم يجدوا احدا يثبت نصب التنين .



والقى قنهان التحية على آهونغ * وقال :

– اتيت ابحث عن نصب التنين .

– اوتريد ان تثبت النصب ؟ رائع جدا !

---

* آهونغ : هو من يجيد التلاوة في الدين الاسلامى ، والزعيم الروحي للجماعة .

وقد ظن آهونغ ان قنهان جاء متطوعا لتثبيت النصب . واستطرد يقول فرحا :

ـ ما اسمك ؟ وهل انت خبير بمسالك المياه ؟

ـ انا قنهان . نعم ، انى خبير بها . ويمكننى ان انام حتى فى الماء !

وغمرت الفرحة آهونغ وقال :

ـ ايها الاخوة المسلمون ! احمدوا الله العزيز ! فقد جاء لنا من يثبت نصب التنين !

ورفع كل انسان يديه بالدعاء وقاموا يصلون ومعهم قنهان .

ووقف الجميع يصلون صلاة الاستسقاء اذ وجدوا من سيثبت نصب التنين . وساروا حاسرى الرؤوس خفاة الاقدام وبأيديهم البخور يتمتمون بالدعوات . وكان آهونغ يقود الجميع رافعا نصب التنين بكلتا يديه . وتبعهم قنهان الى بحيرة التنين الاسود . وحالما وصلوا الى المكان شعورا بالبرودة تسرى فى اجسادهم بعد ان لفحتها الشمس بلهيبها المتقد .

وناول آهونغ النصب الى قنهان ، وما ان استلم الطلسم لم ينتظر ليخلع ملابسه ، فاتجه من حينه الى الماء وغاص فيه . وسبح وتلمس دربه الى كهف التنين . وطرق البوابة بالنصب فانفتحت الابواب الشائكة .

ودخل قنهان الى قصر التنين المشرق بالانوار . وعبق الجو بأريج موسيقى عذبة ناعمة . وكان الملك التنين المكسو بلباس اسود يغط فى النوم على منصة ، وفى فمه المفتوح ياقوتة تلف فاه .

وتذكر قنهان ما قالته له الاميرة ، واسرع بالوصول الى الياقوتة وابتلعها .

واستيقظ الملك التنين الاسود جفلا ، وتصاعد لهيب من منخريه وفمه .

وهدر قائلا :

— من سرق ياقوتتى ؟

فاجاب قنهان رابط الجأش :

— قد ابتلعتها .

ووثب الملك التنين غاضبا ، وزمجر فى سخط واستل حسامه فى يده ، وقال :

— اسرع باعادة الياقوتة والا طحنك الملك التنين !

— ايها الاحمق الاسود ! لقد سببت المجاعة لكثير من الناس على الارض . وسيكون هذا اليوم من العام القابل ذكرى وفاتك الاولى . والافضل فصل رأسك عن جسدك !

قال قنهان ذلك ، ورفع الطلسم وبضربة واحدة خر الملك التنين طريحا على الارض : وحطمت الضربة الثانية قرونه ، وفصلت الثالثة رأسه .

فارق الملك التنين الحياة ، ثم تحول قنهان الى تنين : وطار من الكهف محدثا طنينا ، وانصب المطر دانيا ونائيا ، كأنما كانت السماء تنزل جرادل ماء ضخمة .

اعداد : وانغ تشه

ثلاثة كنوز
(حكاية ويغورية)

كانت هناك منذ زمن طويل ارملة وابنان لها يسكنون فى قرية . وكان الابن الكبير ماهرا وقادرا وناجحا فى جمع النقود ، فأصبح ابنا مفضلا عند امه ، كما ان الجيران احترموه وقدروه . اما الابن الأصغر فكان صبيا مستقيما وبسيطا ، وليست عنده ادنى فكرة عن كيفية جمع النقود . فكانت امه تدعوه " عديم النفع " ، كما كان شقيقه يسخر منه غالبا ، وقد لقبه القرويون " احمق " .

وذات يوم ارسلت امه فى طلبه ، ثم اعطته بضع فطائر قائلة :

ـ خذ هذه الفطائر وانطلق . ولا ترجع الا بعد ان تجمع بعض النقود ، ولن يسمح لك بأن تطأ ارض هذا البيت ثانية اذا عدت صفر اليدين .

فوضع الصبى الفطائر فى جيبه ، وانطلق يسعى لكسب المال فى هذا العالم . ولكن لم تكن لديه ادنى فكرة عن المكان الذى يجب ان يذهب اليه ليجمع الثروة . وطفق يطوف على غير هدى ، فوصل فى النهاية الى نهر ، وجلس على ضفته واخرج فطيرة ، وبدأ يأكلها . ولم يكد يلتهم منها بضع لقيمات حتى رأى افعى صغيرة مستلقية على الارض دون حراك ، وربما يكون ذلك من

وطأة مرض شديد الم بها حيث كانت فى حالة بائسة . فالتقطها ووضعها فى علبة صغيرة لتربيتها . فخطرت فى ذهنه فكرة هى انه ربما يستطيع يوما ما ان يجمع قليلا من النقود بواسطة هذه الافعى .

فاعتنى بها عناية جيدة واقتسم معها فطائره . واخذت الافعى تكبر يوما بعد يوم وتزداد طولا حتى ان العلبة لم تعد تتسع لها . وبعد ذلك وجد الصبى بركة فحفظ افعاه المدللة فيها ، وكلما وجد شيئا للأكل اقتسمه معها . وكبرت هذه الافعى المدللة وازداد جسمها امتلاء حتى اصبحت البركة فى النهاية صغيرة جدا بالنسبة لها .

وعندما جاء الصبى الى البركة ذات يوم قالت الافعى له :

- يجب ان تأخذنى الى نهر كبير ، والا اختنقت هنا .

فاضطرب الصبى واعترف لها قائلا :

- لقد نويت ان احتفظ بك الى ان تكبرى ومن ثم ابيعك . فأمى انذرتنى بأن لا اعود الى البيت ما لم احضر بعض النقود .

فكرت الافعى لحظة ، ثم اجابت :

- لا بأس ، اذا كان هذا ما تريد فخذنى الى نهر كبير ، وهناك ستكافأ مكافأة حسنة .

فجدل هذا الصبى الطيب القلب سلة من الخيزران ، ووضع الافعى فيها ، ثم علق السلة على كتفه وانطلق الى النهر . ولم يكد يرميها فيه حتى تحولت الى تنين بزعانفه وحراشف ذهبية ، يتحرك يمنة ويسرة مثيرا عواصف وامواجا . ثم سبح باتجاه الصبى وقال :



ـ انك خير حقا . فالآن سأفي بوعدى لك ، هذا حمار صغير لك .

وفى اللحظة التى انهى فيها كلامه ظهر حمار صغير . ثم تابع التنين يقول :

ـ كلما اردت نقودا قل للحمار : اعطنى بعض الذهب والفضة .

فطار الصبى فرحا وشكر التنين على كرمه . وعندما امسك بالرسن واستدار ليغادر ، وصاح التنين قائلا :

ـ ولكن تذكر : يجب ان لا تخبر اى مخلوق بذلك .

وفيما انطلق الصبى بالحمار يمشى على طول الطريق حل الظلام ، فصادف نزلا صغيرا على جانب الطريق . فدخل الصبى

وطلب المبيت ولما اخذ صاحب النزل الحمار الى الاصطبل قال له الصبى :

– ارجو ان تطعم حمارى جيدا ، ولكن لا تطلب منه شيئا من الذهب .

فوافق صاحب النزل ، ولكنه تحير فى امر الحمار حيرة شديدة . وفى منتصف الليل تسلل الى الاصطبل بهدوء ، ثم همس فى اذن الحمار قائلا :

– ايها الحمار ، ايها الحمار ! اعطنى بعض الذهب .

وما ان انهى كلامه حتى ظهرت عند قدميه كومة صغيرة من الذهب . فابتهج صاحب النزل ابتهاجا شديدا ، ثم بدل حمار الصبى بحمار من عنده وكان الحماران متشابهين ، لذلك لم ينكشف التبديل . وخبأ صاحب النزل الحمار السحرى . وعند الفجر نهض الصبى ، فعامله صاحب النزل بمنتهى اللطف ، واخرج له الحمار ، ثم تمنى له رحلة طيبة .

وعندما وصل الى البيت طلبت منه امه ان يخبرها بالمبلغ الذى جمعه . فقال مفتخرا :

– يا امى ! انظرى الى هذا الحمار الذى جلبته معى . انه سيعطينى ذهبا وفضة فى اى وقت اذا انا طلبت . احضرى بطانية بسرعة وسأريك .

فلم تكد امه تصدق اذنيها . وفى الحال نشرت على ارض الغرفة بطانية جديدة . فسحب الصبى الحمار نحوه وقال له :

– ايها الحمار ، ايها الحمار ! اعطنى بعض الذهب .

فنظر اليه الحمار فى بله . وامره الصبى ثانية ، ولكن لم يحدث شيء . وعندها ارتبك الصبى ، وقالت امه فى غضب شديد :

– ما كل هذا الهراء ؟

فحاول الابن تهدئتها قائلا :

– صبرك يا امى . اننى متأكد من انه سيعطينا ذهبا بعد لحظة .

ولكن الحمار استلقى على البطانية الجديدة ، واخذ ينهق ويعطس . ولم يعد بالامكان زحزحته . فانفجرت الأم غاضبة وضربت الصبى ضربا مبرحا ، ثم طردته هو والحمار الى خارج البيت .

ومع شعور الصبى بألم الضرب تحول تفكيره نحو التنين ، واعتبر انه الملوم على ما حدث . ثم يمم شطر النهر ، ونادى على التنين بأعلى صوته ، فتموج الماء فجأة ، واطل التنين برأسه وقال :

– ماذا تريد الآن ؟

فتذمر الصبى فى اكتئاب شديد وقال :

– لماذا خدعتنى ؟ هذا حمارك ، خذه ، انه لا يعطينى اى ذهب .

فلم يحاول التنين ان يوضح له الامر ، بل قال :

– حسنا ، اذا كنت لا تريد الحمار ، فسأعطيك شيئا آخر .

وبعد لحظة القى الى ضفة النهر سماطا جميلا ، وقال :

– خذ هذا . عندما تشعر بالجوع انشره امامك فيقدم لك اى طعام تشتهيه .

فأخذ الصبى السماط ، وانطلق الى البيت . وعندما وصل

الى النزل خيم الظلام ثانية ، لذلك قرر ان يبيت فى النزل .

وذهل صاحب النزل عندما رأى الصبى ثانية ، حتى ان عينيه جحظتا . فقد خشى ان يكون الصبى قد جاء يطلب حماره ، ولكنه شعر بالاطمئنان عندما لم يقل الصبى شيئا بخصوص ذلك . وقبل ان يذهب الصبى الى النوم طوى السماط وحذر صاحب النزل من ان يلمسه او يطلب منه وجبة . فهز هذا الرجل السيىء رأسه بالموافقة ، ولكنه ضحك فى سره ، ظانا ان هذا السماط لا بد من ان يكون كنزا آخر . وفيما كان الصبى مستغرقا فى النوم ليلا ابدل صاحب النزل خلسة سماط الصبى بسماط آخر من عنده . ومع صيحة الديك الاولى نهض الصبى واخذ السماط ، ثم تابع رحلته عائدا الى البيت .

ولدى وصوله الى البيت ارتفعت معنوياته ، وقال لأمه :

— كل شيء على ما يرام الآن . ما عليك الا ان تطلبى ما تشتهين من الطعام .

فقالت الأم وهى فى حيرة من امره :

— وما فائدة ذلك ؟

فنشر الصبى السماط وقال :

— انت هناك ، اذكرى اسم الطعام الذى تريدينه .

فضحكت الأم قائلة فى ريبة وفضول :

— حسنا ، سأطلب شيئا بسيطا . اريد بعض الأرز المطبوخ اللذيذ !

فالتفت الصبى الى السماط وامره قائلا :

– اعطنى شيئا من الارز المطبوخ اللذيذ !

ولكن على الرغم من كل توسله وصياحه لم يحدث شيء. فاحمر وجه امه غضبا، ثم ضربته مرة اخرى وطردته من البيت.

فعاد الى ضفة النهر من جديد، واستدعى التنين قائلا :

– يا لك من مخلوق ناكر للجميل ! لماذا تلهو بى هذا اللهو ؟ اذا كنت حقا لا تملك اى كنز، فلا تعطنى شيئا. اننى قد ضربت مرتين بسببك.

فلم يسأله التنين عن شيء، بل قال :

– انتظر لحظة، سأعطيك شيئا آخر.

وبعد فترة وجيزة عاد بعصا خشبية، وناوله اياها. ثم اكد ان عليه ان يخبر صاحب النزل عندما يصله بأن لا يقول : " ايتها العصا الخشبية، ايتها العصا الخشبية، اضربينى ! "

ورحب صاحب النزل الطماع بالصبى فى سرور كبير، متسائلا فى نفسه عن الكنز الذى جلبه معه هذه المرة. وبذل كل ما فى وسعه ليجعل الصبى مستريحا غاية الراحة. وقبل ان ينام الصبى وضع العصا بجانبه وقال لصاحب النزل :

– اياك ان تقول لها : " ايتها العصا الخشبية، ايتها العصا الخشبية، اضربينى ! "

وعندما سكن كل شيء سرق صاحب النزل العصا الخشبية وفور دخول غرفته صاح :

– ايتها العصا الخشبية، ايتها العصا الخشبية، اضربينى !

ولم تكد هذه الكلمات تغادر فمه حتي وثبت العصا من يده،

وضربته على ام رأسه بشدة . فشرع يصرخ ويستغيث ، ولكن العصا لم تعرف الرحمة ، بل استمرت تضربه وتضربه بمنتهى الشدة ، مصيبة كل جزء من جسمه . وحاول الهرب ، ولكن العصا لحقته الى كل مكان . واسود جلده وازرق ، ولكنه لم يستطع ان يجد مكانا يلوذ به . واخيرا هرع الى غرفة الصبى وتوسل اليه ان يوقف عصاه قائلا :

– لم اعد قادرا على تحمل هذا الضرب . اطلب من عصاك التوقف . سأعيد لك حمارك وسماطك .

وفى اليوم التالى اخذ الصبى سماطه وعصاه ، وشق طريقه نحو البيت فرحا ، جارا خلفه حماره السحرى .

ابن السماك
(حكاية ويغورية)

كان فيما مضى من الزمان سماك ، ماتت زوجته ، وعاش مع ابنه الوحيد شودون على صيد السمك ، وكانت حياتهما فى غاية البؤس والشقاء .

ذات يوم كان السماك مع ابنه على شاطئ النهر كعادتهما ، ولحسن الطالع انهما ما كادا ينشران الشبكة حتى اصطادا شبوطا كبيرا جدا . فسر الاب والابن سرورا عظيما ، ولكنهما لم يستطيعا ان يسحبا الشبكة الى الشاطئ مع انهما بذلا كل ما اوتيا من القوة :

ما العمل ؟ فكر السماك مليا واخيرا قرر قطع الشبوط قطعة قطعة واخراجه من الشبكة ، فقال لابنه :

ـ عد الى البيت يا بنى ، واجلب فأسا !

عاد شودون جريا الى بيته ، وبحث عن الفأس هنا وهناك ، غير انه لم يجد له اثرا ، فرجع الى الشاطئ فارغ اليدين ، وقال لأبيه :

ـ بحثت عنه فى كل مكان ولم اعثر عليه . اين وضعته ؟

قال السماك غاضبا :

ـ يا لك من ولد غبى ! كيف عجزت حتى عن هذا الامر



البسيط ! تعال ، وشد الشبكة بقوة ، ولا تترك الشبوط يفلت منها !
ثم غادر الى البيت للبحث عن الفأس بنفسه .
عندئذ فتح الشبوط فمه ، وقال لشودون متوسلا :
ـ آه ! انقذنى يا ولد ، انت طيب القلب ! عندى اولاد صغار ، سنشكرك الف شكر اذا تركتنى اذهب واعدك بالمساعدة فيما بعد عندما تواجهك المحن والمشقات .
ها ! هو كائن حى مثلى . اذن خليه يروح الى حال سبيله ! ولكن ماذا اقول لأبى ؟ فكر شودون وقتا طويلا واحتار حيرة شديدة .
وسأله الشبوط :
ـ لماذا انت متحير الى هذا الحد ؟
اجابه شودون :

– اريد ان ادعك تذهب ، ولكن اخاف من ابى : وفى الوقت نفسه يحزننى ان أراك فى هذه الحالة . فلا اعرف ماذا افعل .

قال الشبوط :

– طيب ! عندما يعود ابوك ، اقفز انا فى الشبكة بكل قوة وتظاهر انت بأنك لا تقدر على الامساك بالحبل حتى افلت من الشبكة . واذا اراد ابوك ان يضربك فأقفز الى الماء وسأنقذك من الغرق .

رجع السماك بالفأس راكضا : فأخذ الشبوط يلبط فى الشبكة بجنون ، فتظاهر شودون بالعجز عن شد الحبل ، وصاح بصوت عال :

– آه ، بابا ، تعال بسرعة ! لا اقدر على الامساك بالحبل !

ثم ارخى الحبل وما لبث ان غاص الشبوط الى قعر النهر .

لقد اصطاد الشيخ كثيرا من الأسماك فى حياته ، ولكنها اول مرة يصيد فيها مثل هذه السمكة الكبيرة ، التى تركها ابنه تهرب الآن ، فجن جنونه ، واهوى بالفأس عليه فأخذه خوف شديد وقفز الى النهر بسرعة . فابتلعه الشبوط ، ثم سبح به الى قعر النهر العميق .

بقى شودون فى بطن الشبوط سبعة ايام ثم توسل يوما اليه قائلا :

– اريد ان اعيش مع البشر فى اليابسة .

فرد عليه الشبوط :

– لقد انقذت حياتى : اتعهد لك ان اساعدك على التخلص من اية محنة تحدث فى اى وقت . فارجع هنا كلما تواجهك المشقات .

ثم سبح الى سطح الماء وزفر زفرة فأوصل شودون الى شاطئ

النهر . التفت شودون حوله ولم ير الا صحراء مقفرة ، فقال لنفسه : امشي على طول الشاطئ ، لعلي ارى بشرا . ومشى يوما بكامله قطع خلاله صحراء واسعة ثم وصل الى مهوى جبل ، فرأى ينبوعا يجرى منه الماء الصافى ، وتنمو حوله الاحراش والاعشاب الخضراء ، وتتفتح الازهار المتنوعة ، وتغرد الطيور بألحانها العذبة .

اعجب شودون بهذا المنظر الاخاذ وفكر : لم لا استريح هنا قليلا ؟ فاستلقى على الارض السندسية الوثيرة وما لبث ان لفه النوم . وبينما هو غارق فى سبات عميق ، فوجئ بصوت غريب ، فرفع بصره الى فوق فرأى صقرين صغيرين واقفين على قمة جرف صخرى يصيحان بصوت يائس ، وعيونهما تنظر الى تحت . ونظر شودون هو الآخر الى اسفل الجرف فاذا ثعبان ضخم خارج من جحره يزحف نحو الصقرين . فقفز شودون على قدميه فى الحال ، وتسلل بهدوء من وراء الثعبان ثم التقط صخرة كبيرة ، فضرب بها رأسه ضربة شديدة ، فتهشم الرأس ومات الثعبان للحال .

سر الصقران الصغيران سرورا عظيما بما فعل شودون ، وقالا له :

— لا بد ان نرد جميلك .

تسلق شودون الجرف حتى وصل الى قرب عش الصقر فلمس الصغيران بأجنحتهما جبينه ووجهه برقة وقالا له متشكرين :

— لولاك لأكلنا الثعبان . سنذكر ذلك لأبوينا لكى يكافئاك . ولكنهما قد يؤذيانك قبل التعرف على شخصيتك . فاختبئ بسرعة تحت اجنحتنا فقد حان الوقت لرجوعهما .

وستره الصغيران بأجنحتهما .

بعد قليل ، تراكمت الغيوم ، وزمجرت الرياح فانبطحت الاحراش على الارض مرتعشة ، وحجبت الرمال الصفراء كل السماء . وفي تلك الساعة جاء الصقران الكبيران من اقاصي السماء ودارا فوق قمة الجبل ثلاث دورات ، ثم حطا ، وتركا قنفذا كبيرا امام ولديهما . ولكن الولدين لم يهتما كثيرا بالصيد خلافا لعادتهما . واخذا يتطلعان بعيون جاحظة الى ابويهما . وعندئذ سألاهما وقد استغربا نظراتهما :

ـ لم لا تأكلان ؟

فرد الصغيران بصوت واحد :

ـ كيف نعامل رجلا طيب القلب اذا صادفناه ؟

فأجاب الابوان :

ـ طبعا ، يجب علينا ان نعامله بالمثل .

وهنا اشار الصغيران الى جثة الثعبان وقالا :

ـ اليوم انقذنا شاب طيب من انياب هذا الثعبان .

وسأل الكبيران :

ـ اين هو الآن ؟

فرفع احد الصغيرين جناحيه وقال :

ـ ها هو ذا .

حيا الكبيران شودون وقالا له باحترام :

ـ منذ سنوات عديدة ، كنا نتعرض لايذاء هذا الثعبان الشرير . ولم ينجو منه احد من اولادنا . اما اليوم فقد خلصتنا من شره نهائيا .

ومسح احدهما على وجهه وعينيه ، واستطرد قائلا :

ـ نحن مدينون لك . سنبذل اقصى جهودنا لمساعدتك على تحقيق كل ما تريد .

فشكرهما شودون وقال :

ـ ليس عندى اى مطلب الآن .

وهنا نتف الصقر الكبير ريشة واحدة من جناحه اليمين واعطاه اياها وقال :

ـ خذ هذه الريشة واشعلها اذا واجهتك محنة وسنحضر حالا .

اخذ شودون الريشة . وبينما هو يهم بالنزول الى اسفل الجرف سمع الصقر الكبير يصيح : " اركب على ظهرى ! " ولم ينته من كلامه حتى طار به كالسهم الى الارض المنبسطة .

سار شودون طول النهار ، حتى وصل الى سفح جبل ، ورأى هناك صيادا يصوب بندقيته نحو ثعلب عاثر الحظ . وفكر شودون فى نفسه : له اولاد صغار ، كم يحزنهم لو مات !

وعندما هم الصياد باطلاق النار ، اسرع اليه ومنعه قائلا :

ـ يا عمى ، ارجوك ان تتركه يذهب ، ماذا سيفعل اولاده اذا مات ؟

فأنزل الصياد بندقيته وانصرف .

انفعل الثعلب انفعالا شديدا ، وقال لشودون :

ـ يا لك من ولد طيب ! لن انسى ابدا معروفك لى . تمنى على اى شيء وسآتيك به .

فأجاب :

ـ لا احتاج الى اى شىء .

فقال الثعلب :

ـ اذا احتجت الى شىء فاشعل نارا يتصاعد منها دخان كثيف فانى آتيك على الفور .

استأنف شودون سيره وبلغ مدينة كبيرة بعد يوم . وبينما هو يطوف فيها ويتفرج هنا وهناك رأى الناس يتوجهون زرافات الى مكان ما فى المدينة .

واستغرب شودون ذلك وسأل شيخا صادفه :

ـ من اين جئتم والى اين ذاهبون يا عم ؟

ـ يا ولدى ، ألا تعرف ؟ اننا نتوجه الى ميدان الاعدام !

ـ ميدان الاعدام ؟ ماذا يعنى هذا الميدان ؟

ـ هو المكان الذى يعدم الناس فيه . اليوم يقطع رأس شاب ، ونحن ذاهبون الى هناك لرؤيته .

ـ ما ذنب هذا الشاب الذى حكم عليه بقطع رأسه ؟

ـ يا ولد ، لماذا تسأل مثل هذه الاسئلة ؟ هذا شاب برئ لم يقتل ولم يسرق احد ولم يرتكب اى ذنب مطلقا . السبب الوحيد لموته انه لم يحقق شرط الزواج .

ـ شرط الزواج ! ما يعنى شرط الزواج ؟

فشرح له الشيخ معناه قائلا :

ـ فى هذه المدينة ملك ، له بنت جميلة ، تمتلك مرآة سحرية ، يمكن ان تعكس كل الاشياء سواء فى السماء او تحت الارض . وقد تقدم كثير من الشباب يطلبون يدها ، ولكن لم

ينجح احد ، ذلك ان لها شرطا ، هو : ان يختار خاطبها فى ثلاثة ايام مخبأ له ، ويستتر فيه ، وفى اليوم الثالث تصعد الاميرة الى اعلى القصر وتبحث بالمرآة عنه فاذا وجدته امرت بقطع رأسه واذا لم تجده تزوجته . وقد مات عدد كبير من الشباب من اجلها . واليوم جاء دور هذا الشاب المسكين .

قال شودون فى نفسه : ما اقسى هذا الشرط ! واذا استمر الحال هكذا ، فمن يعرف كم شاب سيقتل ظلما .

فاتجه الى بوابة القصر الامبراطورى ، وقال للحارس :

— سمعت ان *حضرة الاميرة المحترمة تريد اختيار* زوج ، فجئت من مكان بعيد لطلب يدها ، ارجو منك ان تنقل طلبى اليها .

وبعد ان سمعت الاميرة ابلاغ الحارس ، قالت له :

— طيب ، قل لذلك الشاب ، ان يبحث عن مكان يختبىء فيه . وبعد غد ، سأصعد الى اعلى القصر لأبحث عنه . .

وابلغ الحارس كلام الاميرة لشودون ، فقال فى نفسه : لأذهب الى الشبوط واطلب مساعدته . ثم سار ثلاثة ايام بلا انقطاع ، متوجها نحو النهر الذى يعيش فيه الشبوط . وما ان قفز اليه حتى جاء الشبوط الى جواره وسبح به الى مكان بعيد الغور ، وفى الطريق سأله الشبوط :

— هل انت فى محنة ؟

قال شودون :

— آه ! يا صديقى ، ارجو منك ان تخفينى حتى لا احد

يستطيع العثور على ، فبهذا يمكنني ان انقذ كثيرا من الشباب الذين يهددهم خطر القتل . والا سأقتل فى يد غيرى .

اجابه الشبوط :

– لا تجزع ، يا صديقى ، لا بد ان اساعدك .

ففتح فمه الواسع وابتلع شودون ثم غاص به فى اعماق النهر ، وفى الوقت نفسه امر جميع الاسماك الصغيرة بالذهاب الى المجرى الاعلى لتعكير مياه النهر الصافية . فبدأت آلاف وآلاف من الاسماك الصغيرة تسبح الى اعلى المجرى ، وتقلب الطين والرمل فى قاع النهر برؤوسها وذيولها . وبعد برهة اصبحت المياه من التعكر بحيث لا تستطيع اشعة الشمس ان تنفذ اليها .

وما ان حان الوقت حتى صعدت الاميرة الى اعلى القصر ونظرت فى مرآتها السحرية فرأت كل ما فى الجبال والمروج والصحارى ، كما شاهدت كل شيء فى طبقات السحب السبع . ولكنها لم تعثر على شودون . وعندما اجالت بصرها حول الانهار والبحيرات رأت كثيرا من الاسماك الصغيرة تسبح فى اتجاه اعلى مجرى النهر وتعكر مياهه بلا انقطاع وفى الهوة العميقة الواقعة فى اسفل النهر رأت شودون مختبئا فى بطن شبوط كبير وهو يغط فى نوم عميق .

فأعلنت الاميرة بأنها قد وجدته . ثم امرت الوزراء الواقفين بجانبيها قائلة :

– سيروا ثلاثة ايام فى اتجاه ذلك النهر ، فستجدون شبوطا كبيرا فى هوة عميقة بأسفل النهر ، ينام ذلك الشاب فى بطنه الآن . ولكن يصعب عليكم ان تجدوه ، لأن المياه عكرة للغاية ، ولا

يرى شيء فيه . فلازم ان تطردوا الاسماك الصغيرة اولا لكى تغدو المياه صافية ، بحيث ستجدون ذلك الشبوط الكبير .

انطلق الوزراء بالجيش الجرار الى مقصدهم ووصلوا بعد ثلاثة ايام الى المجرى الاعلى للنهر ، وفعلوا ما امرتهم الاميرة ، وبعد ان صارت مياه النهر صافية توجهوا الى اسفل النهر ، حيث وجدوا شبوطا كبيرا داخل الهوة العميقة ، فأمر الوزراء جنودهم بنشر الشبكة فى الحال . فرموها فى النهر وصاحوا بصوت واحد :

ـ ايها الشاب ، لقد وجدتك اميرتنا ، فأخرج بسرعة .

ايقظت هذه الصيحة شودون من الحلم ، وفكر : لا يرجع النمر بالطريق القديم ، فيجب على الشاب ان يفى بما يقول . ثم قال للشبوط :

ـ طيب ، اروح ! ارجوك ان توصلنى الى الشاطئ .

فأخرج الشبوط رأسه من سطح الماء ، وزفر زفرة قوية اوصلت شودون الى الشاطئ .

ورجع الوزراء بشودون الى الاميرة .

منذ طرحت الاميرة شرط الزواج هذا ، كانت مخابئ الشباب الذين فقدوا حياتهم اما فى الكهوف واما فى الصحارى او اماكن اخرى يسهل البحث عنها ، ولم يحدث لأحد مثل شودون ان اخفى نفسه فى بطن الشبوط فاستغرب الجميع هذه الحال . لذلك عندما امرت الاميرة بقتله ، جاء الملك يكفله قائلا :

ـ على مهلك يا بنيتى ، لا تقتليه فورا ! اتركيه يحاول مرة اخرى .

اذعنت الاميرة لأبيها وقالت لشودون :

ـ لقد عفوت عنك ، واسمح لك ان تختبئ مرة ثانية ، فاذهب .

فكر شودون : اين يمكنني ان اختبئ هذه المرة ؟ وخطر بباله ما قال له الصقر الكبير . فقصد الى الصحراء حيث اخرج الريشة واشعلها .

ولم يمض الا وقت قصير حتى تراكمت الغيوم وهبت العواصف واظلمت السماء . وعندئذ ظهر ذلك الصقر الكبير من السحاب ودار ثلاث دورات فى السماء ، ثم حط امامه وسأله :

ـ يا صديقى العزيز ! هل انت فى محنة ؟ اخبرنى حتى اساعدك فقص شودون قصته من الاول الى الآخر ، ثم طلب منه :

ـ يا صديقى العزيز ! ابحث لى عن مكان ، اختبئ فيه !

قال الصقر :

ـ طيب ، اركب على ظهرى ، ولا تنظر الى تحت ! والا ستشعر بالدوخة وتسقط من على ظهرى .

طار الصقر بشودون الى اعلى . . . حتى دخل فى الغيوم .

وبعد ثلاثة ايام ، صعدت الاميرة الى سطح القصر ، ونظرت فى المرآة ولم تجده فى النهر ، ولا فى الحوض . اين هو اذن ؟ ثم رفعت مرآتها السحرية نحو السماء بلا قصد ، فرأت صقرا كبيرا يطير بشودون بين السحاب . فقالت للوزراء الذين كانوا بجانبها :

ـ لقد وجدته . ولكن القاء القبض عليه اصعب بكثير من المرة السابقة ، لأنه يركب على ظهر صقر يطير وسط السحاب ،

فلا يمكن اصابته بالرصاص ولا يمكن المناداة عليه . ولكن عندى حيلة : كثيرا ما لاحظت ان ذلك الصقر يحط بجانب حوض صاف ويشرب الماء منه بعد ان يطير مدة طويلة . فاذهبوا انتم الى ذلك الحوض لتختفوا بين القصب ، فاذا جاء الصقر فاقبضوا على الشاب .

فتستر الوزراء والجنود فى القصب وانتظروا مجىء الصقر .

طار الصقر الكبير ثلاثة ايام بلياليها ، وشعر بعطش شديد . فحط بجانب الحوض ، ونزل شودون من على ظهره ، ولما اخذا بشرب الماء ، صاح الوزراء والجنود عليهما فطار الصقر مذعورا قبل ان يتمكن الشاب من الركوب على ظهره . فقبض عليه وارسل الى الاميرة .

وامرت الاميرة بقتله . لكن امها ، الملكة تكفلته هذه المرة بعد ان رأت دهشة الناس من امره وقالت :

— حقا ان ما فعله هذا الشاب غريب جدا ، يا بنتى العزيزة ، سامحيه مرة ثانية لأجل خاطرى . هناك مثل يقول : " اذا فشل المرء فى المرة الثانية ، فدعه يجرب للمرة الثالثة . " فمن الافضل ان تتركيه يختبئ مرة اخرى .

فاستجابت الاميرة لطلب امها لكى لا تحزنها وقالت لشودون :

— طيب ، لأجل خاطر امى ، اسمح لك ان تخفى نفسك مرة ثالثة . ولكن يجب ان تعرف انها الفرصة الاخيرة لك . ولن اغير شرطى السابق ابدا ولئن وجدتك هذه المرة ، سأقتلك بلا رحمة ، واذا نجحت فى اخفاء نفسك ، فسأتزوجك .

وذهب شودون الى حال سبيله وهو يفكر فى طريقة اخرى للاختفاء . فخطر بباله وعد الثعلب ، فذهب اليه لطلب المساعدة . وبعد ان سار يوما كاملا حتى وصل فى ظهر اليوم التالى الى سفح الجبل الذى انقذ فيه الثعلب من الموت . واشعل النار ، فتصاعد منها دخان اسود ، فاذا بالثعلب بين يديه ، وهو يقول :

– يا صديقى العزيز ، ماذا دهاك ؟ واية خدمة تريد منى ؟

فحكى له شودون حكايته من البداية الى النهاية ، وطلب منه ان ينقذه .

فقال الثعلب بدون مبالاة :

– امر بسيط جدا ، لا حاجة الى القلق . لماذا لم تأت الى فى المرة الاولى ؟ انتظر هنا لحظة .

ثم شرع يحفر وظهرت له حفرة صغيرة فى الارض فدخلها الثعلب ، وانتظر شودون خارجها . ولكن الثعلب لم يخرج وبقى شودون فى مكانه يومين وهو حائر وقد اخذ منه القلق كل مأخذ .

وبينما هو على احر من الجمر خرج الثعلب من الحفرة وقال له :

– ادخل ، يا صديقى ! وسر فى هذا النفق الذى يوصلك الى تحت قصر الاميرة ، وقد حفرت فى نهايته القريبة من سطح الارض فتحة صغيرة ، يمكن ان تدخل اشعة الشمس منها . واختبئ انت هناك . وعندما تنزل الاميرة من سطح القصر وتمر بتلك الفتحة ، فاخرج منها بأسرع ما يمكن وضمها الى صدرك . تعال يا صديقى ! اتمنى لك التوفيق !

ثم اختفى : دخل شردون النفق ومشى فيه حين كانت الاميرة تصعد الى اعلى القصر .

ونظرت الاميرة فى مرآتها السحرية الى كل الاتجاهات والاعماق ، من الجبال والاودية الى الصحارى والمروج ، من الانهار والبحيرات الى السحب والفضاء ، ولم تعثر على اثر له . وكان شودون فى هذه الاثناء يزحف فى النفق مقتربا من قصرها . اما الاميرة فلم يخطر فى بالها ان تنظر الى تحت قدمها ، ونزلت من سطح القصر يائسة وقالت :

— ايها الشاب الذكى ، ارجوك ان تأتى الى ولا ابالى اين كنت ! سوف اتزوجك حسب ما وعدتك .

وعندما سمع شودون هذا الكلام صدم برأسه ما حول الفتحة من التراب بقوة حتى اتسعت الفتحة وما لبث ان قفز منها وامسك بذراع الاميرة .

وافق الملك على ان يزوج شودون بالاميرة ، وامر باقامة مأدبة فاخرة للاحتفال بسعادتهما . غير ان شودون قال فى حفلة الزواج للملك والملكة بأدب وعلى ملأ من اقاربهما ووزرائهما :

— اشكركم مولاى ، لست الا ابنا لصياد سمك ، فلا اطمع ابدا فى هذه السعادة ، وكل ما كنت اريده هو ان اضع حدا لهذا الشرط القاسى للزواج .

وبعد ان القى نظرة الى الاميرة وانحنى للملك والملكة خرج من القصر . وتسمر الجميع فى مكانهم من الدهشة . وامتقع وجه

الاميرة من شدة الغضب فأخذت مرآتها السحرية بصمت وضربت
بها الارض فتكسرت اربا اربا .

اعداد : ليو فا جيون
رسم : شا قنغ شى

الخنجر السحرى

(حكاية ويغورية)

فى قديم الزمان عجوز كان له اربعة ابناء وابنتان . ولم يكن العجوز على حظ من الثراء ولكنه كان خصب المعارف . ولم يعر الابناء الثلاثة الكبار ادنى اهتمام بأبيهم المسن . وقضوا ايامهم يجرون وراء الطعام واللهو فى البيوت العامة . ولم يقف بجانب العجوز الا ابنه الاصغر . فكان بؤبؤ عينه ، ودائما ما غرف له من تجاربه التى اوجزها له فى بيتى الشعر التاليين :

ولقد اغتدى فقيرا شريدا
لا نديم الملوك والامراء
لا يغر الثراء مثلى وهمى
كسب حريتى ولو بدمائى

وذات يوم ، هاجمت جحافل المرض العجوز والزمته الفراش . ولم يكلف الابناء الثلاثة الكبار انفسهم عناء البحث عن غوث طبى فحسب ، بل انتهزوها فرصة يختلسون كل ما تبقى فى البيت . ثم بذروا الاموال فى مسالك الفساد وعاشوا عيشة كلها رذالة وسخافة .

وازدادت حدة المرض على الاب بسبب تقدمه فى العمر وحنقه على مسلك ابنائه الآثم ، بل كان يزداد خطورة مع كل يوم . ونادى العجوز المسجى على فراش الموت ابنه الاصغر المحبوب ، وقال له :

— ولدى البار سأغادر الدنيا عما قريب . وعندما الفظ النفس الاخير ، سيطرق بابنا سائل فى اليوم الاول بعد جنازتى . ووجب عليك ان تهبه نانغ * . وان رفض فقدم له مالا . وان امتنع عن المال فقدم له اختك الكبرى ليتزوجها . وسيطرق باب بيتنا سائل فى اليوم الثانى . وتصرف معه كما تصرفت مع الاول . قدم له نانغ اولا ، فان ابى فقدم له مالا ، فان امتنع فقدم له اختك الثانية ليتزوجها . وعليك فى اليوم الثالث ان تذهب وتحفر كومة رماد تنور النانغ ** فى الفناء . وستجد فى الزاوية اليمنى خنجرا . وانك تعرف اننى لست " بايى " *** والقليل الذى لدى باعه اخوتك . وذاك الخنجر هو كل ما اتركه لك . ولكن تذكر يا ولدى ان لا تعطيه لاحد فى اى ظرف من الظروف . فسيحقق لك الخنجر كل ما تشتهى فى المستقبل .

وما ان فرغ العجوز من كلامه حتى فاضت روحه : وباع هذا الابن الرابع كل ما تبقى فى البيت ليوارى به اباه الثرى .

وسارت الامور كما قال الاب . ففى اليوم الاول على الجنازة ، دق باب البيت سائل . فقدم له الابن الرابع النانغ فرفضه . ثم

---

* غداء رئيسى لشعب الويغور ، مستدير الشكل ومفلطح .

** تنور قرميدى يستخدم غالبا في خبز نانغ .

*** صاحب ثروة .

قدم له مالا ولم يقبله . وتصرف الولد حسبما قال ابوه ، فقاد اليه اخته الكبرى وقدمها اليه ، فاصطحبها معه . وظهر سائل آخر فى اليوم التالى ، وحدث الشيء ذاته ايضا . امتنع السائل عن كلا النانغ والمال ، ولم يكن امام الابن الرابع خيار سوى ان يفعل ما امره به ابوه . فقدم اخته الثانية الى السائل الذى غادر ومعه الفتاة .

وذهب الابن الرابع فى اليوم الثالث ليخرج الخنجر من كومة الرماد فى تنور النانغ فى الحديقة . ولكنه لما دخل البيت ومعه الخنجر ، كانت الغرف على ما هى عليه من كآبة وعتامة . فعاد الى الحديقة فوجد المكان كما كان وحيدا قفرا . ومنذ فارق ابوه الدنيا لم يخطر ابدا على بال اخوته ان كان ميتا او على قيد الحياة ، بينما غادرت شقيقتاه مع زوجيهما والاسوأ من ذلك ، انه باع ما تبقى من اثاث ليدفع نفقات جنازة ابيه . ولم يكن امامه خيار سوى ان يترك فى ظل هذه الظروف حيث لا احد يتكل عليه . وانطلق الابن الرابع يهيم على وجهه وليس فى يده سوى الخنجر القديم الذى ورثه عن ابيه .

وظل يهيم بلا هدف من انفلاق ضوء الصبح حتى مغيب الشمس كل يوم ، يجتاز الجبال الشامخة ويخترق المفازات ، الى ان حط رحاله فى الاخير فى بلاد غريبة . وكان اهالى هذه البلاد يرفلون فى حلل الفقر . وكان عسيرا ان يبيع المرء ملء تنور نانغ فى الشهر بكامله . وهد حال الابن الرابع من التعب والجوع بعد كل هذه المسافة . وطرق ابواب مخابز النانغ ورمق بعينين جائعتين اكوام النانغ الساخن يتصاعد منه البخار على الالواح

الخشبية . ولم يكن فى وسعه ان يشترى واحدا منها لأنه اصفر اليدين . ثم تذكر الخنجر الذى فى حوزته . وتمتم يحدث نفسه : لم يحقق لى الخنجر شيئا منذ حملته . ولم يبين لى والدى قبيل مماته اى تفاصيل حول استخدامه . وهائنذا سألقى حتفى جوعا بلا سبب . فلماذا انا غبى ؟ ارى ان استبدله بشريحة نانغ ، تخفف من وطأة الجوع على الاقل . وتوقف عن التردد واجدا فى ذلك سببا والجوع يضغط عليه بكلاكله . فسحب الخنجر وتقدم فى رباطة جأش الى صاحب حانوت نانغ ، وتوسل اليه يقول :

– انا يتيم يا سيدى . وقد وصلت الى هنا بعد ان قطعت المسافات الطويلة . وانا الآن فريسة لجحافل الجوع . واريد مقايضة هذا الخنجر بشريحة نانغ . فهو كل ثروتى التى ورثتها عن اسلافى . او يمكن هذا ؟

واخذ صاحب الحانوت يتفرس الفتى . ولما رأى ما هو فيه من بؤس ، قال لنفسه : العمل راكد فى هذه الايام ، وليس من زبائن يترددون علينا . من يعرف ، فقد يجلب هذا المتشرد الحظ لنا . ووافق على المقايضة .

وناول الابن الرابع الخنجر للحانوتى فى مقابل شريحة النانغ التى التهمها التهام الذئاب الجائعة . ولما أتى على وجبته البسيطة مال على جدول على جانب الطريق ، وغرف الماء براحتيه ليطفئ ظمأه . ثم ابتعد فى المسير يبحث عن مأوى .

والقى الحانوتى السكين فى صندوق المال . ونشط العمل فى غضون دقائق . جاء الزبائن فى طوابير ، وخبز تنور بعد تنور من

النانغ بيع عن آخره . وقبيل ان يهل المساء ، كان الصندوق قد امتلأ بالنقود من مبيعات اليوم . ولنعد الآن الى الابن الرابع لنرى ما جرى له . فبعد ان هام يوما بطوله لم يجد مكانا يؤويه . ولما غطست الشمس وراء الجبال عاد الى مخبز النانغ . ومع ان الجوع قرصه فى هذه المرة ، فليس معه خنجر آخر يقايض به فى مقابل شريحة نانغ . وجلس وحيدا على جانب الطريق وظل يرنو الى الحانوتى وزوجه يعدان النقود .

وقال الحانوتى لزوجه :

ـ عملنا اليوم ليس سيئا . ما رأيك ؟

ـ فعلا ، ليس كذلك ! قد ابتسم لنا الحظ . ولكن ليس لدينا ولد من سوء الحظ . فلو كان لدينا ولد لكانت حياتنا افضل .

تلك هى الحقيقة ! فلم تضع له زوجه لا ولدا ولا بنتا . ولطالما هفا الزوجان العجوزان ان يتبنيا طفلا . وبعد هذه الملاحظات ، اشار الزوج الى الابن الرابع الجالس على جانب الطريق وقال لزوجه :

ـ انظرى الى هناك . انه يتيم متشرد ، قد قايضنى خنجره بشريحة نانغ فى هذا الصباح . وشكله ليس سيئا . فماذا لو ضممناه الينا ؟

وافقته الزوجة على رأيه . وذهب الحانوتى يتحدث مع الفتى . ومن المحقق ان ليس لدى الابن الرابع اى سبب ليمتنع خصوصا والجوع مسلط عليه سيفه . فصار ابنا بالتبنى للحانوتى . واخذ يناديه بكلمة " الاب " وزوجته بكلمة " الام " . واضحت

سعادة الزوجين لا توصف . وغطت الابتسامات العريضة وجهيهما . وانزلاه فى مقر اقامة مساعدى الحانوتى وردا اليه خنجره الذى ورثه عن اسلافه .

وصار العمل فى المخبز يشهد تطورات افضل يوما فيوما . وما هى الا مدة غير طويلة حتى صار الخباز " بابى " وشاطره الابن الرابع فى كل حظه الطيب . ومرت سبع او ثمانى سنوات وشب عن الطوق . وفكر والداه بالتبنى ان يبحثا له عن عروس . وخشيا ان يخجل ، فطلبا من زملاء السكن ان يتحدثوا اليه ويناقشوا معه المسألة ، وان يتحسسا خبر الفتاة التى تستهويه ، مما يسهل الخطوبة . وقال الفتى لزملائه بعد ان استمع اليهم :

— اتركونى وحدى الآن ، وسأرد عليكم فى باكر . سأفكر الليلة فى المسألة .

حسنا . اذا كان يرغب ان ينظر فى المسألة فليكن له ذلك ولنعد الآن الى القسم الثانى من القصة .

كان لدى ملك الدولة التى يعيش فيها الابن الرابع ، فتاة تدعى ساووج ناجوك احبها الملك حبا جما . وكانت الاميرة ساووج ناجوك معتادة ان تخرج فى مساء كل يوم جمعة تتمشى . وكان الملك قد اصدر امرا بأن يلزم كل انسان بيته فى تلك الليلة . وكل من يخرج من بيته ليختلس نظرة من الاميرة يتعرض لعقوبة الموت . وقد حدث ان الاميرة ساووج ناجوك قد خرجت تتمشى فى ذات المساء الذى كان يفكر فيه الابن الرابع فى اختيار عروس له . ومن شدة الافكار التى تزاحمت عليه ، نسى امر الملك بمنع

الاهالى من الخروج . وسار بطيئا الى سطح المنزل فلمح من بعد ساووج ناجوك ووصيفات القصر حولها تحت البرج . كانت الاميرة فاتنة حقا ! وان قلت انها صافية فاتنة تضارع البدر فانها بزته فى واقع الامر ، وان قلت انها تضاهى الشمس الساطعة ، فقد فاقتها فى ضيائها والجمال الذى يكسو محياها اشد من محيا حورية . فوقع الابن الرابع فى هواها من اول نظرة . فعزم ان يطلب يد الاميرة .

وجاء فى صباح اليوم التالى الى زملائه وقال لهم :

— اذهبوا وقولوا لأمى انها اذا كانت ستنتقى لى زوجة فلتكن الاميرة ساووج ناجوك والا فلن اتزوج .

ولما سمع الخباز وزوجه كلام الفتى لزملائه ، خبطا على جبهتيهما فى دهشة . وقال الخباز :

— الله اكبر ! انا خباز نانغ عادى وهى ابنة ملك للبلاد ، لا يخطبها الا ابن ملك . فكيف يمكن ان تكون كنتى ؟ اسرعوا وقولوا له ان يتوقف عن احلام اليقظة !

ونقل زملاؤه اليه ما قاله ابوه . ولكنه رد عليهم :

— اذهبوا وقولوا لابى وامى اننى لا بد ان اتزوج الاميرة . وليكن ما يكون ، فعليهما ان يرسلا خطابا الى الملك ومفاتحته فى الامر .

ولم يحر الخباز وزوجه سوى الموافقة بعدما رأيا ما فى ابنهما من عزم وتصميم .

— حسنا . فلنحاول ما دام متشبثا برأيه .

وفى اليوم التالى ، اعد الخباز النانغ من الدقيق الابيض وذبح عددا من الاغنام ودعا بعض الاخساغار * يرافقونه لزيارة الملك . وما ان دخلوا القصر حتى سألهم بفظاظة :

— ماذا تريدون ؟

لم يجرؤ الخباز على الجواب ولكن واحدا من الاخساغار الذين وقفوا بجانبه رد عليه وقال :

— ما جئنا يا صاحب الجلالة لشيء سوى ان لهذا الخباز ابنا وقع فى هوى ابنة جلالتكم ، الاميرة ساووج ناجوك . . . .

فجاش الملك غضبا ولم ينتظر ان ينهى الاخساغار كلامه . وارعد قائلا :

— اخرس ! انا سيد كل هذه الربوع ، ويحاول ابن شيطان أثيم ان يتزوج ابنتى ! هذه اهانة كبيرة لى . ايها الجلادون ! خذوهم واقطعوا رقابهم عبرة للآخرين !

وتقدم حراس الملك الواقفون حوله وشدوهم بالحبال .

وفى هذه اللحظة ، نهض الوزير الذى كان بجانب الملك واوقف الحراس . وقال لهم :

— تريثوا !

ثم انحنى وهمس الى الملك :

— لو سمحتم يا صاحب الجلالة ان تهدئوا من غضبكم وسخطكم . كريمتكم بلغت سن الرشد ، وجاءوا يطلبون يدها وسيان ان كانوا من اصحاب اليسار ام من اصحاب الفقر .

* الاخساغار موظف باقليم الويغور فى الزمن القديم

وانكم يا صاحب الجلالة ان قتلتم خباز النانغ فقد يعتبركم الناس طاغية ولا انسانيا . هذا اولا . وثانيا ، لن يجرؤ احد ان يتقدم ويطلب يد كريمتكم فى المستقبل . وعندئذ تبقى عانسا . ونصيحتى ان لا تقتلوه الآن . ويمكننا ان نشترط عليه ان يقدم هدية زواج للعروس يعسر عليه الحصول عليها . وان عجز عن ذلك ارديناه قتيلا . فنتجنب بذلك الفضيحة . ليس هذا فحسب ، بل نكون قد انتقمنا منه . او ليس هذا ضرب عصفورين بحجر واحد ؟

ورأى الملك ان فكرة الوزير مقبولة تماما . وقال له :

– ليكن ذلك . افعل ما تراه ضروريا !

ونهض الوزير وقال للخباز :

– تفضل صاحب الجلالة بالعفو عنكم جميعا . وان صاحب الجلالة الملك موافق من زواج ابنته بابن الخباز . وقرر ان يكن حفل الزواج غدا . ولكن شريطة ان يعد كل ما يلزم الفرح قبل فجر غد . هناك نهر عريض يبعد عن بوابة القصر عشرين لى ، ويتحتم بناء جسر بلا اعمدة فوقه . وعلى ضفة النهر المقابلة لا بد من غابة وحديقة ازهار محيطها اربعون لى يحيطها سور من اللون الازرق السماوى . وينبغى ان تضم هذه الحديقة طيورا من كل لون شجية التغاريد ، وان تثقل افنان الاشجار بالناضج العذب من الفاكهة ، وان يوجد تحت الاشجار احواض من ازهار متداخلة الالوان تلقى على الارض ظلالا زخرفية وترخى عبيرا شجيا متنوعا . ووجب ان ينتصب فى وسط الحديقة برج يشمى مطلى بالذهب وشرفة من صلصال ممزوجة بالمسك . وفى الاخير ، لا بد من

فرد بساط متغير الالوان ليس فيه درزة على طول الطريق من الحديقة عبر الغابة ومخترقا الجسر الى قصر الملك . وحين تنتهى من كل ذلك ، يمكنك ان تأتى وتطلب الاميرة ساووج ناجوك . وان لم يكن كل شىء جاهزا قبل فجر غد ، قطع رأسك .

وبعد ان انتهى الوزير من الكلام امر الخباز ان ينصرف .

ولما وصل الخباز الى بيته جلس صامتا مقطب الجبين . وعزم ألا ينبئ زوجته ولا ابنه بالخبر السىء عاد به ، ونوى ان يتسلل فى الغد ويلاقى حتفه وحده . ولم رآه الفتى قد عاد بسرعة ، توسل الى امه ان تسأله عما اذا قضى الامر ، فذهبت الام الى الاب وسألته :

— ماذا حدث ؟ ولم انت مغموم ؟ هل حدث ما يعكر صفوك ؟

وهز الخباز رأسه كئيبا مغموما :

اتركينى وحدى . لن اقول لأحد شيئا . انى خائف !

وتدخل الابن فقال :

— قل لنا يا ابت ، لم انت خائف ؟ اذا ما حدث شىء تحدثنا دائما بخصوصه معا . فقد نجد حلا .

وانفتح فم الخباز بسبب الضغط عليه : وخبرهما بالمطالب القاسية التى اشترطها الملك ، وكيف سيفصل رأسه عن جسده اذا لم تتحقق الاشياء المعنية قبل فجر غد . فصرخت الام صراخا يقطع أوتار القلوب حال سماعها النبأ . وعاد الابن الرابع الى مسكنه واخذ يذرع الغرفة جيئة وذهابا يفكر فى وسيلة يساعد بها اباه .

ثم جلس مغمض العينين على الكانغ * يمعن فى التفكير . وعلى حين غرة ، ظهر امامه عجوز يحمل على ذقنه لحية بيضاء كبيرة . وتقدم يتكئ على عكاز الى الفتى ، وسأله :

— لم انت حزين يا ولدى ؟ اخبرنى بما جرى وسأمد لك يد العون .

وشرع الابن الرابع يحكى للعجوز المصيبة التى حلت بالخباز وتوسل اليه :

— اسعفنا يا جدى .

واستطرد العجوز يقول :

— لا تخش شيئا يا ولدى . الخنجر الذى تركه لك ابوك يمكن ان يساعدك فى تحقيق بغيتك .

واخذ الابن الرابع يمطر العجوز بالاسئلة وقال :

— ولكننى لم احقق به شيئا ذا قيمة منذ صار فى حوزتى . ولا اعرف كيف استخدمه . فلربما تعرف يا سيدى كيف يستخدم ؟

ورد عليه العجوز فى هدوء :

— عندما تعترضك صعوبة اغرز الخنجر فى الارض وترنم بالمقطوعة التالية :

يا خنجرى يا زينة الخناجر
يا ساحرا يبز كل ساحر
يا شاحذا عزيمتى اذا وهت
ومنقذى فى احرج المخاطر

---

* الكانغ سرير من آجر تحته موقد للتدفئة .

وبعد ذلك ، توضح المسألة التى تريد نوالها ، وستتحقق رغبتك فى الحال . ولشد ما كانت سعادة الفتى وهو يستمع الى هذه التعاليم . فانحنى بسرعة يشكره ، وقال له :

– شكرا جزيلا يا جدى .

ولما رفع رأسه كان العجوز قد اختفى عن الانظار . وقد ارتبك وهب من فوره . وفقد اصابه نعاس وهو على " الكانغ " وكان فى حلم ! وتناول الخنجر فى الحال وخرج الى الفناء وغرس النصل فى الارض ، وانشد المقطوعة التى علمها له العجوز :

يا خنجرى يا زينة الخناجر
يا ساحرا يبز كل ساحر
يا شاحذا عزيمتى اذا وهت
ومنقذى فى احرج المخاطر

وما ان انتهى من الانشاد حتى اعاد مطالب الملك القاسية . فظهر امامه فى لمحة منظر طبيعى بهى كما وصف الوزير تماما .

ولما رأى الابن الرابع هذا المنظر هرع الى مهجع ابويه وهتف جذلا :

– اماه كفى عن النحيب الآن ! ابتاه لا تخش شيئا ! قد اعددت كل ما طلب الملك !

لم يصدقه الخباز ولا زوجته فى بداية الامر . ولكنهما لما خرجا ليشاهدا ، تحققا مما قال لهما ابنهما !



ولما بدأت حبال النور تمتد فى الافق فى صباح اليوم التالى ، ذهب الخباز ومعه ابنه الى القصر ، حيث كان الملك ينتظر وصول خباز النائغ ليلقى حتفه . وحالما لمحه يقود ابنه يخطى العتبة قال متهكما :

– حسنا . كيف الاحوال ؟ هل حققت ما كلفناك به بالامس ؟
ورد عليه الخباز فى روية :

– كل شيء على ما يرام يا صاحب الجلالة . لقد وفيت بكل مطلب من مطالبكم . وها أتيت الآن مع ابنى لنطلب ابنتكم يا مولاى .

كيف لملك ان يصدق ان لخباز نانغ مثل هذه القوى الخارقة ؟ فأرسل وزيره الاثير ليستقصى الامر . ولما خرج الوزير من القصر رأى فعلا الحديقة التى اعطى اوصافها للخباز فى يوم امس ، امام قصر الملك . وعاد الى القصر وانبأ الملك بما رأى . ولم يقل الملك شيئا واذن تتزوج ابنته من ابن الخباز .

وحين اصطحب الابن الرابع فاتنته الى بستانه الجديد ، تواصلت الليالى الملاح اربعين يوما بلياليها . ثم استأجر وصيفة عجوزا لتقوم على راحة زوجته . وكانت الخادمة تساعد الاميرة ساووج ناجوك فى تهيئة شعرها ، وترافقها الى البستان تلعب وتتمشى معها . وكان الابن الرابع يخرج للصيد والقنص . وكان عندما يعود فى الاماسى يداعب محبوبته ويتبادل معها عذب الحديث . فى الحق ، كانت حياتهما تفيض جمالا وسعادة .

ومن سوء الطالع ، جاء تاجر من بلاد غريبة بعد ذلك بوقت غير طويل . ولما سمع هذا التاجر ان ابن الخباز قد اقام اجمل البساتين فى العالم فى بحر ليلة واحدة ليتزوج من الاميرة ، ظن انه لا بد لديه طلسما . فأخذ يدبر حيلة لحيازة هذا الشيء الثمين . فذهب التاجر يوما يتجول فى البستان متظاهرا انه يتنزه . ومن بعيد ،

لمح الاميرة ساووج ناجوك تتمشى ووصيفتها فى البستان . فأثار جمال الاميرة رغبة آثمة بتلك الطلسم والاميرة معا .

وجاء التاجر فى اليوم التالى فى وقت خروج الاميرة من القصر تتنزه فى البستان ، متقنعا فى زى بائع زهور ، واتى الى البستان حاملا سلة مليئة بالزهور ، ووقف امام البوابة ينادى على زهوره . ولما سمعت الاميرة صوت المنادى العالى ، ارسلت وصيفتها لتشترى زهورا . ولم يترك التاجر هذه الفرصة تفلت من بين يديه . فقال للعجوز فى مكر وخبث :

— لقد تقدم بك الزمان يا سيدتى ولا زلت تعملين وصيفة . اصغى الى : ان ساعدتنى فى شىء اجزلت لك كمية من الذهب . واضمن لك ان تعيشى فى سعادة بقية حياتك .

فبلت العجوز العرض واجابته :

— قل لى ما هو ، ومن المؤكد ان افعل .

— فقال لها التاجر :

سأجزل لك فى المكافأة ان حصلت على طلسم ابن الخباز وشرحت لى كيف يستخدم .

وفكرت الوصيفة العجوز لحظة وقالت :

— حسنا . تعال فى مثل هذا اليوم من الاسبوع القادم لتأخذه ولن اخيب ظنك بالتأكيد .

وعادت مسرعة ومعها باقة زهور الى الاميرة .

وعندما كانت تسرح شعر الاميرة فى صباح اليوم التالى ، قالت لها :

– اظن ان ابن الخباز ليس مخلصا لك يا مولاتى .

فارتبكت الاميرة وسألتها :

– ولماذا ؟

– فى ليلة واحدة اقام لك زوجك هذا البستان وكل ما فيه . ومن المؤكد ان لديه طلسما . وان كان يحبك حبا صادقا وجب ان يحكى لك الحقيقة منذ زمن بعيد . ولكنه لا يزال يحتفظ بالسر لنفسه . أ ليس هذا دليلا على عدم الاخلاص ؟

وبينما هى تحرض الاميرة ، ظلت ترمق التعابير على وجهها .

وفكرت الاميرة فى الامر ، ووجدت كلام الوصيفة مطابقا للحقيقة تماما . ولكنها لم تعرف كيف تتصرف . فقالت للعجوز :

– قولى لى ماذا أصنع الآن ؟

ولما رأت الوصيفة ان الاميرة وقعت فى شراكها ، انتقلت الى خطوة ثانية على الفور .

وقالت لها :

– لا تقلقى يا مولاتى . فعندما يعود فى هذا المساء اذهبى اليه واسأليه . فان حكى لك ، كان ذلك دليلا على اخلاصه لك .

وهنا كانت قد انتهت عملية تسريح الشعر . وذهبت الاثنتان الى البستان تتمشيان كالمعتاد .

ولما عاد الابن الرابع الى البيت فى ذاك المساء ، وجد زوجته جالسة حزينة بجانب الفراش . فسألها فى رقة :

– زوجتى الحبيبة : هل من شىء كدر صفوك ؟ لماذا انت كئيبة ؟ احك لى بسرعة والا تفطر قلبى .

فردت عليه بنزق :

– مشكلة ! ألا تعرف المشكلة ؟ اقمت هذا البستان البهيج فى غضون ليلة واحدة . كيف حصل ذلك ؟ هل سبق ان حكيت لى القصة ؟

ثم فاضت بمهجتها وانسكبت الدموع من مقلتيها .

وندت عن الابن الرابع تنهيدة مريحة :

– هل هذا كل ما فى الامر ؟ اتوسل اليك ان لا تبكى يا حبيبتى . سأحكى لك الحكاية حالا . فهذا سيرضيك . أليس كذلك ؟

واخرج الخنجر من حزامه وناوله لها ، وقال يسترضيها :

– تفضلى الخنجر الذى استخدمته فى بناء البستان العجيب فى ليلة واحدة وقد ورثته عن اسلافى . هذه هى الحقيقة !

وتناولته منه وهى مبوزة متظاهرة بالضيق ثم انفرجت شفتاها عن ابتسامة . وقالت له :

– هل كان سيحدث سوء الفهم هذا لو حكيت لى قبلا ؟

وراح الزوجان الشابان فى حديث عذب .

وفى صباح اليوم التالى ، وبينما الاميرة تسرح شعرها ، حكت للوصيفة ان زوجها قد اعطاها الخنجر السحرى : وقالت لها فى نشوة انتصار :

– أ رأيت ؟ انه صادق الاحساسات تجاهى .

ولكن الوصيفة ردت عليها ردا غير متوقع :

– آه يا مولاتى . ولكنى لا زلت اقول انه غير مخلص .

فدهشت الاميرة اى دهشة ، وسألتها :

— ماذا تقصدين ؟

— حقا ، قد اعطاك زوجك الخنجر . ولكنه لو كان يحبك من قلبه لحكى لك كيف تستخدمينه . قد اعطاك الخنجر فقط ، ولم يقل لك كيف يستخدم . الا يدل هذا على عدم اخلاصه ؟

وبينما هى تغمز وتلمز ، كانت تلحظ التعابير على وجه الاميرة .

ولم تجد الاميرة فكاكا سوى ان توافقها على رأيها ، ولكنها لم تعرف ماذا ينبغى ان تصنع .

وسألتها ودموعها تهطل :

— ماذا وجب ان افعل الآن ؟

ولما رأت العجوز الماكرة ما فيه مولاتها من سذاجة قالت بلهجة مؤكدة :

— لا عليك يا مولاتى . اسأليه فى هذا المساء ، فان اخبرك عرفت انه يحبك .

وما ان انتهى الحوار ، كان تسريح الشعر قد انتهى ايضا . ثم انطلقتا تتمشيان فى البستان .

ولما عاد الابن الرابع فى آخر النهار رأى زوجته جالسة بجانب السرير ، كئيبة صامتة . وانطلق على سجيته يسألها :

— لماذا انت حزينة ؟ احك والا قطعت قلبى .

فأجابته متجهمة الوجه :

— الا تعرف ما هى المشكلة ؟ انك لم تصدقنى القول منذ ان تزوجنا . وقد اعطيتنى الخنجر السحرى ولكنك لم تشرح لى استعماله : أليس هذا خديعة ؟

وما ان فرغت من حكاية ما تعانيه حتى انفجرت فى النحيب .
وقال لها الابن الرابع فى لهجة لطيفة :
ــ أ هذا كل ما فى الامر ؟ ارجوك يا عزيزتى ان لا تبكى .
سأحكى لك الآن . اذا ما واجهتك مشكلة ما ، خذى الخنجر واغرزيه فى الارض . ثم انشدى المقطوعة التالية :

يا خنجرى يا زينة الخناجر
يا ساحرا يبز كل ساحر
يا شاحذا عزيمتى اذا وهت
ومنقذى فى احرج المخاطر

وبعد ان تنتهى من الانشاد ، اطلبى حاجتك وستتحقق رغبتك على الفور .
وانفجرت أسارير الاميرة وابتسمت فى خفر وحياء وسألته :
ــ لو حكيت لى هذا من قبل لما حدث ما حدث من سوء فهم .
وراح الزوجان يتبادلان عذب الحديث فى ود وصفاء .
وفى الصباح التالى ، وعندما كانت الاميرة تسرح شعرها حكت للعجوز كيف شرح لها زوجها استخدام الخنجر السحرى .
وشعت ابتسامة انتصار من الاميرة على العجوز ، وقالت لها :
ــ عليك ان تعترفى فى هذه المرة ان زوجى يحبنى حبا صادقا .
وما كان من العجوز فى هذه المرة الا ان وافقت على ان ابن

الخباز يحب زوجته حبا صادقا . ولكن العجوز الماكرة لم تقف عند هذا الحد . فقالت لها :

– مولاتى عليك ان تحافظى على هذا الشىء الثمين ولا تطوله يد انسان .

فردت عليها ساووج ناجوك ولم تراودها شكوك :

اضعه تحت وسادة زوجى . ولاتصل اليه يد انسان .

وانتهت الوصيفة من تسريح شعر الاميرة مع نهاية الحديث الذى دار بينهما . وخرجتا تتمشيان فى البستان كالعادة .

وحين جاء التاجر يستلم الخنجر كانت ساووج ناجوك ترتاح فى غرفتهما . وانتهزت الوصيفة الفرصة ، وتسللت على اطراف اصابعها ، وتناولت الخنجر السحرى من تحت وسادة الابن الرابع . واسرعت الى البوابة وناولته للتاجر واوضحت له كيفية استعماله . وفعل التاجر ما قالت له الوصيفة فى الحال . فغرز الخنجر فى الارض وانشد :

يا خنجرى يا زينة الخناجر
يا ساحرا يبز كل ساحر
يا شاحذا عزيمتى اذا وهت
ومنقذى فى احرج المخاطر

ثم طلب امنيته :

– يا خنجرى ، انقل لى هذا البستان وهذه الفاتنة معى الى

مكان خلف جبل الجليد على الشاطئ المقابل لبحر النيران .
وارجوك ان تحقق لى هذا سريعا !

ولم يكد ينتهى من كلامه حتى اختفى البستان عن الانظار . فقد انتقل الى ارض وراء جبل الجليد على الشاطئ المقابل لبحر النيران كما رغب التاجر .

ولما أفاقت الاميرة ساووج ناجوك من نومها رأت انسانا غريبا بالقرب من فراشها . ونادت على وصيفتها ، ولكن التاجر كان قد طردها . ولما رآها التاجر قد استيقظت اقترب منها وقال لها مبتسما ابتسامة وقحة ويضحك ضحكة مخزية :

– وصيفتك ، يا عزيزتى ، قد وهبتك لى . وقد نقلتك الى ارض وراء جبل الجليد على الساحل المقابل لبحر النيران . ولن يكون بمقدور زوجك ان يصل الى هنا . انظرى أ لست اجمل من زوجك ؟

ورمقته ساووج ناجوك بنظرة ، فكان التاجر حلو المنظر حقا . فاستسلمت له وقبلت ان تكون زوجته .

ولما عاد الابن الرابع فى المساء من طراده ، لم يلحظ اثرا لا للبستان ولا لزوجته . فتحسس خنجره السحرى ولكنه لم يكن فى حزامه . فأدرك على التو ان شيئا مريعا قد حل . وجلس على ضفة النهر واخذ يبكى بكاء مريرا . وبينما هو ينعى لحاله ، ذهب من يخبر الملك باختفاء البستان الذى شاده ابن الخباز واختفاء الاميرة ساووك ناجوك . لم يصدق الملك النبأ فى بداية الامر ، ولكنه لما ظهر من القصر لم ير اثرا للبستان البهيج . فغذ الخطى

مع وزيره الى جانب النهر ووجد صهره هناك ، وطرح عليه اسئلة فظة ، وقال له :

— ما معنى هذا ؟ اين ذهب بستانك ؟ واين ابنتى ؟

ولم يحر الابن الرابع جوابا . وعندئذ امر الملك حراسه ان يربطوا صهره من يده وقدمه وان يلقوه فى النهر .

واخذ التيار يتقاذف الفتى يوما بعد يوم واستمر الحال شهرا على هذا المنوال . وانتقع فى الماء حتى تفككت اطرافه . وبعد ذلك ، هبت ريح عاتية فوق النهر ساقت الفتى الى ضفة النهر ؛ وكانت الريح تشتد عتوا مع مرور كل ساعة ، ودحرجت امامها الفتى . وما زال يتدحرج الى ان وصل الى كوخ سقفه من قش . وظهرت شابة عند باب الكوخ . ولما رأت هذه الحالة المؤسفة حملته الى داخل الكوخ . وبعد ان استرد الفتى وعيه سألته المرأة عما اودى به الى هذه الحال . فقص عليها ما وقع من البداية الى النهاية . وبينما هى ترخى اذنيها اليه عرفت انه ليس سوى اخيها الاصغر ، الابن الرابع . وكانت هى اخته الكبرى التى تزوجها المتسول الاول بناء على توجيه ابيه . وهكذا جمعت الصدفة بين الاخ واخته ، اخذا بعضا بالاحضان ، وذرفا دموع الفرح لهذا الالتئام الذى لم يخطر على بال .

سألها اخوها :

— كيف أتيت الى هذا المكان يا اختاه ؟

وحكت له اخته ما حدث لها .

— المتسول الذي اعطيتني له هو الملك الشيطان لمنطقة

جبل الجليد . وهو رؤوف بى . ويذهب للطراد فى كل يوم ولا يعود الا مع مغيب الشمس . وسأطلب اليه ان يشد ازرك حين يعود . واظن ان عودته قريبة . آه ، اذهب واختف فى مكان ما فهو لا يحب ان يقابل الاغراب . ولا تخش شيئا حين تثور عاصفة فجأة . يحدث ذلك عندما يصل .

ثم وارت اخاها خلف الباب .

ولم يمض طويل وقت حتى هبت عصفة ريح هادرة متفجرة من القبة الزرقاء زلزلت الكوخ القشى السطح ، ثم هدأت على نحو مفاجئ . وانفتح الباب محدثا صريرا حادا ، ودخل الملك الشيطان وفى يده ماعز جبلى . وامر بعد ان اتخذ مجلسه فى وسط الغرفة ، الخدم ان يشووا الماعز . شم رائحة وسأل زوجته :

ـ زوجتى : لماذا اشم رائحة غريب فى البيت ؟

ودنت منه زوجته فى الحال واجابته :

ـ لا تندهش يا زوجى . فقد جاء اخى الرابع . وهو الذى زوجنى بك .

فقال الملك الشيطان :

ـ حسنا . فلم لا تأذنين له بالدخول ؟ اسرعى باستدعائه .

وخرج الابن الرابع من مكمنه . ثم طلب الملك الشيطان من اتباعه ان يبحثوا عن اطراف الفتى واعادتها اليه . ثم جلسوا يتجاذبون اطراف الحديث . وسأل الملك الشيطان الابن الرابع عما اوصله الى هذه الحال . فحكى له كل ما حدث ، وتوسل اليه ان يحظى بمساعدته ليستعيد بستانه ويثأر ممن صب هذه المصيبة على رأسه .

وقال الملك الشيطان :

ـ رأيت بستانك وانا اصطاد . وهو وراء جبل الجليد على الشاطئ المقابل لبحر النيران ، والوصول اليه عسير . وتقع مملكتى فى داخل منطقة جبل الجليد وليس من وسيلة لاختراق بحر النيران .

ولم ييأس الابن الرابع . وقال فى رباطة جأش :

ـ سأذهب الى هناك ولا تهمنى الصعاب . وأملى فى مساعدتك يا نسيبى .

وفكر الملك الشيطان لحظة ، وقال :

ـ حسنا . ما دمت تصر على الذهاب فسأبذل كل ما فى طاقتى لمساعدتك . احمل هذا السيف . فما دام فى يدك فلن يمسك احد وانت فى طريقك عبر جبل الجليد . هذا اولا . وثانيا ، عندما تجتاز جبل الجليد ستصل الى أجمل . واصل السير مسافة ابعد وستجد نفسك فى شعب جبلى . وهناك على قنة الجبل على يدك اليسرى يتدلى عش نسر فيه فرخا عقاب . وتحت الجرف ، جحر أصلة ضخمة ستحاول التهام فرخى النسر . وعندما تحط قدمك هنالك اقتل الافعى بهذا السيف . وحين تعود ام الفرخين فستجازيك لاحسانك لانها قالت مرة : "من ساعد فرخى فسأجازيه ." وعندما تسألك عن حاجتك ، ارفض كل عروضها ، ثم اسألها ان تحملك عبر بحر النيران . وستجد بستانك بعد ان تجتازه بمسافة .

وبعد ان انتهى الملك الشيطان من توجيهاته ، ناول الفتى السيف . وكان الشواء قد نضج وبدأت وجبة المساء .

وفى الصباح التالى ، وقبل ان يهل نور النهار ، ودع الابن الرابع اخته ونسيبه ، وامتشق السيف وانطلق الى حال سبيله . ولم يجرؤ ان يمسه احد فى رحلته عبر جبل الجليد ومرد ذلك الى السيف فى يده . ولكن الجبل المدثر بالجليد زلج ، مما جعل المسير شديد الوعورة . واستجمع قواه واندفع الى الامام يتعثر ويتزلق طوال الطريق . واستغرق صعود الجبل منه شهرا . ثم تقدم ولاحت امامه اجمة ، وصل بعد اجتيازها الى الشعب الجبلى وكان كل شئ مثلما وصف الملك الشيطان . القنة تنتصب على الجانب الايسر من الشعب الضيق ، وهناك عش النسر ، وتحته جحر الاصلة . وكمن الابن الرابع بجانب الجحر ينتظر الاصلة . وان هى الا فترة حتى سمع فحيحا خارجا من الجحر . وبينما هو يراقب الجحر متعمدا خرجت منه افعى ، فاغرة فاها الضخم الاحمر بلون الدم لتلتهم فرخى النسر . وعصفت نفحة من ريح بالمكان فى هذه اللحظة : وجاءت ام الفرخين تحوم فى الجو . ولم تجسر ان تحط على الارض خوفا من الافعى الشريرة ، ولكنها ظلت تحوم دائريا فوقها مطلقة صرخات حزينة ، بينما الفرخان البائسان على الارض يرتجفان فى حالة يرثى لها . واستل الابن الرابع السيف فى اللحظة المناسبة ، وفصل رأس الافعى عن جسدها ، يتدحرج على الارض . ولما رأت ام الفرخين الثعبان وقد انتهى امره حطت بجانب فرخيها وقالت للابن الرابع :

— قد قدمت احسانا الينا . وقد انقذت حياتى فرخى . ولا بد ان اجازيك على صنيعك . قل لى ما تشتهى .

فأجابها الابن الرابع بما نصحه الملك الشيطان :

– لا اريد شيئا منك . لا اريد سوى ان اجد بستانى واشد بأعناق خصمى . اريد ان اذهب الى الشاطئ المقابل لبحر النيران . ارجوك ان تساعدينى واحملينى الى هناك .

ارتعدت ام الفرخين حال سماعها رغبة الفتى ان تعبر به بحر النيران . وقالت لنفسها : الطيران فوق بحر النيران خطر جدا ، فقد افقد حياتى ! ولكنى قلت من ينقذ فرخى كافأته لحسن صنيعه . وقد انقذهما هذا الفتى اليوم ، ولا يمكننى ان ارجع فى كلامى .

واجابته الام :

– حسنا ، سأعبر بك جهنم تلك جزاء لفعلك النبيل . خذ مكانك على ظهرى ، واربط حول عنقى حقيبة من جلد مليئة باللحم . وكل المطلوب منك ان تطعمنى كلما طلبت منك . وتذكر انه وجب عليك ان لا تتبرم مهما كان الامر لا يطاق .

– حسنا .

قالها الابن الرابع مغمورا بالسعادة واتخذ مقعده منفرج الساقين على ظهرها . ثم انطلقت الطائر بالفتى وحومت به الى اعالى السماوات . وظلت طائرة به الى ان وصلت الى بحر النيران . وكان اللهيب الاحمر متلاطما فى امواج صاخبة فوق البحر ، والدخان الاسود الكثيف يتجعد صوب السماء . ومع انها طارت به على ارتفاع سامق جدا الا انها شعرت كما لو ان حديدا ساخنا احمر يكويها . وشعر الابن الرابع بمثل ما شعرت به . ولكنه استجمع قواه ولم ينبس ببنت شفة . وشعرت الطائر بعد ان طارت زمنا بالجوع وطلبت لحما . فناولها شريحة منه . وظل الاثنان يسبحان فى الجو عشرة

ايام او يزيد قبل ان يعبرا بحر النيران . ولما حطت على الارض كان التعب قد هدها .

وقالت لاهثة :

– قد وصلنا ، ارجوك ان تنزل الآن . اذهب مباشرة وستجد بستانك .

ودع الابن الرابع انثى النسر وواصل سيره . وسار يوما وليلة ولم ير ظلا للبستان . وفى يوم وقبيل ظهور الشفق الاحمر ، وصل بعد ان قطع مفازة الى كوخ صغير سقفه من قش . وكان الاجهاد والجوع قد امسكا بتلابيبه . ودنا من باب الكوخ يطلب ماء يبلل ظمأه حتى يقدر ان يواصل بحثه عن البستان . وفتح باب الكوخ وظهرت منه شابة وتوسل اليها ماء فلبت طلبه ، وشربه فى جرعة واحدة . ولما رأت الشابة ما هو فيه من اجهاد والهيئة التى بها جرع الماء ، تلهفت على سؤاله من اين اتى والى اين هو ذاهب . فحكى لها عن المأساة التى المت به . وعرفت المرأة وهى تستمع الى حكايته انه ليس سوى اخيها . نعم . كانت اخته الاكبر منه التى زوجها حسب مشيئة ابيه للمتسول الثانى . وبكى الاخ واخته من الفرحة لهذا اللقاء الذى لم يخطر على البال .

وسألها :

– كيف اتيت الى هذا المكان يا اختاه ؟

وحكت له اخته كل ما حدث لها . وقالت له :

– المتوسل الذى زوجتنى منه هو الملك الشيطان لمنطقة بحر النيران . وهو يعاملنى خير معاملة . ويخرج للصيد يوميا ويعود

مع مغيب الشمس . وحالما يعود سأطلب منه ان يفكر فى وسيلة تعيد اليك خنجرك ، وتعيد البستان الى صاحبه الحقيقى ، وتقضى على عدوك . وها قد حان موعد ايابه . قم الآن وانظر لنفسك مخبأ لأنه لا يحب ان يقابل الاغراب . وقبيل وصوله ستهب عاصفة ، فلا تخش شيئا .

ومر وقت ، ثم هبت ريح هوجاء فعلا ، هزت اركان الكوخ القشى السقف . وما ان خمدت الريح ، انفتح الباب مع ضجيج ، ودخل الملك الشيطان وفى يده عجل وخلفه الخدم . واتخذ مقعده فى وسط الكوخ وامر الخدم ان يشووا العجل ، ثم قال لزوجته :

– لماذا اشم رائحة غريب فى البيت ، يا زوجتى ؟

وهرعت زوجته الى جانبه وقالت له :

– لا تظن فى الامر غرابة يا زوجى . فقد جاء اخى ، الاخ الاصغر الرابع ، الذى زوجنى اليك .

فقال الملك الشيطان :

– حسنا . فلم لا تأذنين له بالحضور ؟ اسرعى باستدعائه .

– ولما حضر الابن الرابع حكى الملك الشيطان كل ما حصل له ، وتوسل اليه ان يؤازره فى البحث عن بستانه ، واستعادة خنجره ، والثأر من غريمه .

وقال له الملك الشيطان :

– حسنا . المنطقة حول بحر النيران تتبع سلطانى . وسأعلمك الآن ثلاث آيات . وحينما تغادر فى غد توجه رأسا باتجاه الغرب . ولن تذهب بعيدا ، اذ ستجد بستانك . وهناك تتلو الاية الاولى

وعندها ستتحول الى حمامة . ثم طر الى داخل الحديقة واتل الاية الثانية ، وعندها ستتحول الى قط وبمقدورك ان تدخل الى القصر . والخنجر السحرى تحت وسادة . وما عليك الا ان تتناوله وتخرج الى البستان وعندها سيكون كل شيء على ما يرام . ثم عليك ان تتلو الاية الثالثة وعندها ستعود الى طبيعتك الاصلية .

وانتهى الملك الشيطان من ارشاداته وعلم الابن الرابع الايات الثلاث . وفى هذا الوقت ، كان العجل المشوى جاهزا وجلس الجميع يتناولون طعام العشاء .

ودع الابن الرابع اخته ونسيبه فى الصباح الباكر وواصل المشوار . وصنع حسبما وجهه الملك الشيطان . وانطلق ناحية الغرب حالما خرج من الكوخ . واستمر يمشى حتى بزغت الحسناء من الافق الشرقى ، ولاح بستانه امامه . وتلا الاية الاولى فتحول الى حمامة فى التو . ثم طار الى البستان وتلا الاية الثانية فتحول بعدها الى قط فورا . ولما دلف الى داخل القصر رأى زوجته جالسة فى حضن التاجر ! فتطاير الشرر من عينيه ولكنه كبح جماح نفسه . وقال لنفسه : وجب ان احصل على الخنجر السحرى اولا ، وتأتى تصفية الامور الاخرى فى حينها . واغتنم فرصة ان الاثنين منهمكان فى متعتهما ووصل لا يراه احد الى مكان الخنجر تحت الوسادة . وعاد الى البستان وتلا الاية الثالثة . فعاد الى طبيعته الاصلية فى الحال . ثم سحب الخنجر وغرزه فى الارض ، وشرع ينشد امام الطلسم :

يا خنجرى يا زينة الخناجر
يا ساحرا يبز كل ساحر
يا شاحذا عزيمتى اذا وهت
ومنقذى فى احرج المخاطر

ثم قال :

– يا خنجرى ! انقل البستان ومن فيه فى الحال الى المكان الذى كان اصلا لى .

وعاد البستان البهيج فى طرفة عين الى سابق عهده . واغلق الابن الرابع الباب على الاميرة ساووج ناجوك والتاجر ، وراح يدعو الملك . ولما فتح الباب ورأى الملك من بالداخل صعق بما لا يقدر عليه وصف . فأمر فى الحال ان تقيد ابنته والتاجر الخسيس فى ذيلى فرسين وان يطلق عدد من الجياد وراءهما . فلاقت الاميرة والتاجر حتفهما .

وفى الاخير ، حكى الابن الرابع للملك كل ما عاناه من مصاعب وما لاقاه من شدائد . فتأثر الملك ايما تأثر لهذه الحكاية . وادرك عندئذ ان هذا الشاب قوى الارادة مغوار . وامر بتعيينه كبير الوزراء على وجه السرعة . ولكن الابن الرابع رفض العرض مما اثار الدهشة والاستغراب . اذ تذكر الفتى مقطوعة الشعر التى لقنها له والده

ولقد اغتدى فقيرا شريدا
لا نديم الملوك والامراء

لا يغير الثراء مثلى وهمى
كسب حريتى ولو بدمائى

ولما عرض عليه الملك منصب كبير الوزراء كان رده :

ـ متأسف يا صاحب الجلالة . دلت تعاليم والدى لى وتجاربى الاخيرة فى الحياة ان حياة القصر الفخم ليست لى . واننى افضل ان اعيش حياة كادح حر .

واستأذن الابن الرابع من الملك بعد ان قدم الاسباب ، ومعه خنجره السحرى ، الشيء الوحيد الذى خلفه له ابوه ، وانطلق يسير .

اين ذهب الابن الرابع ؟ حسنا . لا انتم ، اعزائى القراء ، ولا انا ، الراوى ، نعرف . ولكن ثمة شيئا تعرفونه انتم وانا وهو ان الابن الرابع سيمرح فى حياة طافحة بالجمال والسعادة .

اعداد : يوان دينغ

الزوجة الوفية

(حكاية ويغورية)

يحكى ان فتاة من اسرة ريفية ليست ميسورة الحال ، كانت آية فى الجمال ومثلا فى توقد الذهن والفطنة . وقد وهبت انامل تخرج منها فنون من المطرزات عز مثيلها .

وقد عقد الهوى رباطه بين قلب هذه الفتاة وقلب شاب كان يعمل اجيرا لدى احد الامراء . وكانت اسرة الشاب شأنها شأن اسرة الفتاة ، لا تملك سوى كوخ بسيط يؤويها ويستر حالها . وتحمل الشاب الحياة وما فيها من ضنك وبؤس ومشقة فى سبيل لقمة الرزق . ومن جهة اخرى كان بسيطا ، فيه بساطة اهل الريف ، صادقا مع نفسه ومع غيره ، لسانه لا يعرف التأويل ولا التلفيق ، وكان ينطلى عليه كلام الآخرين ، اذ سرعان ما يعتبر كل ما تنطق به السنتهم صدقا . ومع ذلك ، احبته الفتاة ، وشغف به قلبها ؛ فقد استراحت لعواطفه واحساساته ولمسلكه واخلاقه . ولما تقدم بطلب يدها ، وافق والداها بناء على رغبتها والحاحها ، وحددا موعد الزواج بنهاية فصل الخريف حين يكون الشاب قد استلم اجرته من الأمير .

وجرت العادة فى ذلك المكان وذاك الزمان انه اذا ما شاع

صيت فتاة حسناء وذاع ان يبلغ ذلك مسامع الملك حتى وان لم يلحظ لها شكلا . وكانت لا بد ان تقدم الى قصره . فان راقت له ضمها الى حريمه ، وان لم تجد فى نفسه هوى طردها وينتظر غيرها .

ولكن هذه الفتاة ليست اى فتاة من حيث الدلال والجمال . زد على ذلك ان الوزير عرض على الملك بعضا مما صنعته يداها ، فأحس الملك من طرف خفي انه مشدود اليها ، وانه لا بد يستولى عليها ، فبعث اليها يطلب يدها .

وصل مبعوث الملك الى بيت الفتاة ، وهناك اخبره ابوها انها قد خطبت لشاب ، ولا فائدة ترجى من الالحاح . وان لم يصدق فعليه ان يراها ويتحدث اليها . وهكذا كان . حاول مبعوث الملك ، بكل ما أوتى من دهاء ، ان يغريها بقبول الملك بعلا ، ولكنها رفضت الاغراء وراء الآخر ، فى اباء وشمم ، وصلابة واستبسال . وفى الأخير قالت له :

– عد الى مليكك واشكره بالنيابة عنى لما تفضل واسبغ على من مديح واطراء . وقل له اننى لا أرغب فى الزواج منه . فأنا انسانة فقيرة افضل الزواج من انسان فقير لا يستطيع ان يوفر لى غذاء ولا كساء ، على ملك لديه الطعام الوفير والشراب الغزير والفراش الوثير . ولا تنس ان تخبر الملك ان زواجه من فقيرة سيسيء الى سمعته !

احتقن المبعوث غيظا ، واستشاط غضبا لخيبته فى مسعاه وعودته بخفى حنين ، وقص على الملك ما جرى له وحدث .



اربد وجه الملك ، وشخر ونخر وقال : " سأنالها مهما طال الزمن ! "

وجاء الخريف ، واقيمت الزينات والافراح ، ودخل الفتى

على فتاته ، وعاشا عيشة ليس فيها من الرفاهية شيء ، انما كانت حياة تقشف وادخار علهما يضيفيان شيئا جديدا من اثاث على البيت الذى يضمهما . وفى يوم من الايام جاءت الشابة الى زوجها وقالت :

– ها قد وفرنا ثمانية دراهم . فما رأيك لو نزلت الى المدينة واشتريت لنا خيوطا ؟

واسرع الزوج الى المدينة وعاد بالخيوط المطلوبة التى نسجت منها الزوجة اربعة شرائط حملها الزوج الى المدينة حيث سرعان ما بيعت لما فيها من دقة ومهارة ، وكان الثمن ستة عشر درهما . وعاد الى البيت بعد ان اشترى خيوطا اخرى نسجت منها ايضا شرائط فيها الزخرفة المتناهية الدقة ، وباعها الزوج بأربعين درهما .

واستمر الزوجان على هذا المنوال الى ان وفرا بعض الاموال .

وجاءته ذات مرة وقالت :

– ابتع لى خيوطا ملونة اصنع منها مفرشا .

وسرعان ما اتمت المفرش وطلبت الى زوجها ان يبيعه بعشرين درهما ، واوصته ان يتجول فى جميع شوارع المدينة الا شارعا واحدا ؛ هو الشارع الحادى والاربعون ، مهما كان ، ومهما حدث . وان لم يستطع ان يبيعه فليعد به الى البيت .

وتحلق الناس به فى الاسواق والشوارع ، كل منهم يلقى نظرة على هذا المفرش الملون ، ولكنهم سرعان ما كانوا ينصرفون عنه لمغالاته فى الثمن . . عشرين درهما !

فمن لديه عشرون درهما فى هذا الزمان ؟ ! وظل الشاب

ينتقل من شارع الى شارع ومن زقاق الى آخر الى ان حل المساء . لم يقبل ان يعود ولم يبع المفرش ، فزوجته لن تقتنع ان احدا لم يعجبه المفرش او ان احدا لا يحب شراءه او اقتناءه . اذن . . لا بد له من ان يبيعه كى لا تحزن . وظل يفكر ويطيل التفكير الى ان وصل الى الشارع ٤١ الذى سبق وان حذرته منه زوجته .

كان الشارع يجلله السكون والهدوء ، ليس به احد من المارة ، وعلى جانبيه صفوف من المبانى بينها قصر شاهق : قصر الملك على الارجح . ولم يكد يهم بأن ينسحب منه حتى خرج عليه من البوابة الضخمة رجال على اكتافهم النسور وامامهم تعدو كلاب الصيد ، وكان كل منهم شامخا بأنفه حتى السماء ! وكان بينهم الملك على ظهر جواد . فلما لمحه الملك سأله على الفور :

– ماذا تصنع هنا ؟ الا تدرى ان هذا قصر الملك ؟

كان صوت الملك اشبه برنات الناقوس ، يصم الآذان .

ورد عليه الشاب :

– لا اعرف ان هذا قصر الملك يا سيدى ! اننى كنت على وشك المغادرة فورا .

وبينما هم الشاب بالانصراف ، لمح الملك فى يديه لفة فسأله :

– ماذا تحمل ؟

– مفرشا يا سيدى .

– ارنيه .

من يعلم ما فى الغيب ! ومن يدرى ان كارثة ستحل بعد ان يرى المفرش ! كان الملك قد سبق وان رأى مثل هذه الفنون

العجيبة من التطريز ، صنعتها الفتاة التى كانت رفضته زوجا لها . كيف له ان ينساها ؟ وفهم الملك ان المفرش من صنع الفتاة لا غيرها . ورمق الشاب بنظرة تقطر حقدا وغيرة ، وسأله :

– من طرز هذا المفرش ؟

لم يتوقع الشاب هذا السؤال من احد ! ركبته الحيرة واسقط فى يده . وجاء جوابا مضطربا :

– انا الذى طرزته يا سيدى .

وما ان فرغ من هاته الكلمات حتى جلجلت الضحكات من حوله . فأدرك انه فى موقف حرج ، فزاد ارتباكه . فقال له الملك :

– قل الحقيقة . مم تخاف ؟ من طرز هذا المفرش ؟

– اختى يا سيدى .

وهنا زاد قلق الشاب اذ ليس له اخت .

انتفخت اوداج الملك ، ونظر اليه بعينين تتقد منهما شرارات الغضب ، وقال هادرا :

– انت كاذب ! قل الحقيقة .

وايقن الشاب انه لا فائدة من الاستمرار فى هذا اللف والدوران ، وانه لا مناص من قول الحقيقة ، لا بد من كشف السر ، فقال :

– زوجتى هى التى طرزته .

هدأ روع الملك لدى سماعه هذا ، وهز رأسه وقال والابتسامة العريضة على ثغره :

– ما أجمله من مفرش ! بكم تبيعه !

– ثمنه عشرون درهما .

وتناول الملك المفرش ، وامر ان ينقد ثمنه ، وقال :

– غدا . . سأخرج للطراد . وسأمر بقريتكم ، وأود لو استرحت عندكم قليلا ، فهلا اعددتم لنا شيئا من طعام ؟

وعاد الشاب يجرجر قدميه منهوك الفكر . فالندم قد آلمه انه ذهب الى ذلك الشارع ولم يعمل بوصية زوجته . وفى البيت سلم النقود لزوجته ، فلمحت كدرة وعبوسا على محياه . فقدرت ان ثمة شيئا قد حصل . فسألته :

– ماذا بك ؟ ما الذى عكر صفوك ؟

وما كان امامه سوى ان ينصاع ويحكى لها ما حدث من البداية الى النهاية . وعندئذ . . صبت عليه جام غضبها وقالت له :

– قد سبق وحذرتك . لم تعمل بنصيحتى . انك ستجلب لنا كوارث ما بعدها كوارث .

كان وهو يستمع قد جلله الأسى ووخزه الندم حتى فاضت مقلتاه بسيل من الدموع تأثرت لها الزوجة مما حدا بها الى ان تقول له مطمئنة :

– انسى ذلك . . لا عليك ! سنرى ما يخبئه لنا الغد وما تعده لنا المقادير . ان سأل عنى الملك لدى حضوره فقل له انى لست بالبيت .

وفى اليوم التالى ، قدم الملك فى موكب الطراد ، ودخل الى بيت ربة التطريز واتخذ مقعده وطلب شرابا . كان يظن ان ربة البيت هى التى سترحب بمقدمه وتعد له الشراب . ولكن الشاب

هو الذى استقبله وقدم له الشراب . فقال الملك وقد احس بشئ من الاستخفاف به :

– لماذا لم تعد زوجتك الشراب ؟

وفى غضون ذلك انبأه الملك ان لديه بعض الشؤون يود ان يستفسره عنها .

وقال الشاب للملك :

– زوجتى غائبة عن البيت منذ ايام .

ولدى سماع الملك هذا الكلام ، تغيرت قسمات وجهه على الفور ، ولكنه كتم غيظه ، واتاح لنفسه ان يفكر فى الامر مليا . واعتقد انها لا بد مختفية عنه ، فى مكان ما لسبب يعرفه هو نفسه . وفى ادب متصنع ، دعا الشاب الى جواره يشرب معه قدحا من الخمر . ليس بوسع الشاب ان يرفض دعوة الملك ، وما كان له هذا خصوصا وان الملك فى بيته ، علاوة على ان فى هذا تكريما له . . واى تكريم ! فتناول الشاب القدح واخذ يرشف . . كان الملك قد وضع فيه مادة مخدرة لا يفيق شاربها الا بعد ثلاثة ايام او اربعة .

واصدر الملك اوامره بتفتيش البيت شبرا شبرا . . كل هذا وصاحب البيت فى عالم آخر ، يغط غطيطا لن يصحو منه قبل ايام . اين راحت الفتاة ؟ اين اختبأت ؟ لا حس ولا خبر ! ولكن المسكينة اين ستطير ؟ عثر عليها رجال الملك ، فرآها اجمل مما وصفت به . . ها له ما هى عليه من جمال يسحر القلوب ويعقد الالسنة . فطلب اليها ان يبنى بها . . اسمعها معسول الكلام . .

بنى لها قصورا فى الهواء . . ولكنها ابت ذلك كله وقالت :

— اننى امرأة متزوجة . . وزوجى ما زال على قيد الحياة . اننى احبه وهو يحبنى . لن اتخلى عنه ولو جز رأسى . .

واستطار الملك وهاج وماج ، واصدر الامر لحاشيته ان يحملوها الى قصره . لا مخلص لها ولا مهرب . لا بد من الحكمة فى تصريف الامور وقت الشدائد . فحاولت ان تسترضى الملك حتى تفعل ما يروق لها لا سيما انهم اذا اخذوها فلن يعرف زوجها طريقها ، فقالت له :

— هل تريد ان تتزوجنى حقا ؟

— هذه مسألة لا مزاح فيها .

— ان كنت كذلك ، فلى مطلب وحيد .

وانفرجت اسارير الملك ، وأسرع يقول لها :

— ما هو ؟ انا مستعد . . واكثر من مطلب .

فقالت الفتاة :

— جرت تقاليدنا هنا انه اذا تزوجت المرأة مرة ثانية فلا بد ان تقدم الرغيف والماء للفقراء والمساكين ليكون الزواج ميمونا وتحل به البركات .

وقال الملك :

— حسن . . اصنعى ما تحبين .

فقامت ووضعت عددا من الارغفة وكوز ماء عند رأس زوجها الذى لا يدرى شيئا عما يجرى . . وحملها جماعة الملك الى قصره ، وكانت بين كل مسافة واخرى تضع رغيفا وماء ،

على زوجها ، حين يصحو ، يتبين الطريق الذى سلكته ويعرف مكانها .

وافاق الزوج بعد ثلاثة ايام ، وفتش عن زوجته فلم يلمح لها اثرا كأنما الارض قد شقت وابتلعتها . وعندئذ ادرك ان الملك لا بد اوقعها فى شراكه فاختطفها وراح . وفيما هو لا يحير ماذا يفعل شاهد الرغيف والماء ، ففهم انها تركته له ليأكله ، الا انه رأى عن بعد رغيفا وماء ايضا ، ففطن ان ذلك اشارة الى الطريق الذى سلكته ، فسار على هدى ذلك الى ان وصل الى قصر الملك .

كانت اسوار القصر عالية ، وحول البوابة حراس كثيرون . . فكيف يمكنه الدخول وكيف يتم اليها الوصول ؟ ظل يتنقل من مكان الى مكان حول القصر الى ان التقى ، وبمحض الصدفة بسيدة عجوز رأته حزينا مهموما ، فسألته عن ضالته ، فأنبأها بكل ما فى صدره . فرقت العجوز لحاله وعطفت عليه ، ثم ناولته قليلا من المال وقالت له :

ـ اشتر شيئا مما تستخدمه النساء من ابر وخيوط ومرايا وامشاط ، واذهب الى بوابة القصر ، وناد على بضاعتك فربما واتاك الحظ ورأيتها .

واما الفتاة فأدخلها الملك الى قصره حيث الخدم والحشم وكل ما تشتهى النفس من الخيرات . جاء الملك وطالبها بتنفيذ ما اتفقا عليه ، اى ان يتزوج بها فى الحال . ولكن الفتاة قالت له :

ـ قد اتيت معك الى هنا وهذا خير دليل على انى سأتزوج منك . فلا تتعجل . . اننى الآن مريضة ، واطلب اليك ان تنتظرنى

شهرا لا تدخل فيه الى غرفتى ابدا . ولو اذنت لى فاننى سأتمشى حول القصر من آن لآخر .

قنع الملك بكلامها . وتركها لحالها فى انتظار مرور الشهر ؛

وبعد ايام . . خرج الملك للطراد كعادته . وخرجت الفتاة تتمشى حول القصر ، ووصلت الى قرب البوابة فرن فى سمعها صوت بائع ، صوت شبيه بصوت رجلها ، فدنت من البوابة وتحققت من الرجل فاذا هو زوجها . فنادت عليه بأن يقترب ، ففعل ولم يعرفها اذ كان على وجهها خمار . ومازالت تسأله عن هذا وذاك مما معه من بضائع حتى عرف انها هى زوجته فأشارت اليه بالسكوت . ثم تلفتت حولها وقالت له :

– هاك هاتين القطعتين الذهبيتين واشتر بهما فرسين وانتظرنى وراء السور بعد فوات ثلاثة ايام .

وسلمته القطعتين الذهبيتين وعادت مسرعة الى الداخل .

وعاد الملك من الطراد فوجدها مهمومة مغمومة فسألها :

– ما الخبر ؟ من اغضبك ؟

وتظاهرت بالغضب وقالت :

– انا غاضبة منك انت بالذات ! أ لست سأكون زوجة لك ؟ ما هذا الذى أنا فيه وأنا ليس لى كلمة ولا صوت هنا ؟

عندئذ أخرج الملك واحدا واربعين مفتاحا وناولها لها وقال :

– يمكنك ان تشرفى على كافة الشؤون فى القصر . انت الآمرة والناهية فيه .

وعلت وجهها الابتسامة وهى تتناول منه المفاتيح . وقال لها الملك :

— ها ان الشهر على وشك الانتهاء !

فقالت :

— انى على وعدى . . لا تستعجل ! ما زال باقيا ثلاثة ايام .

وخرج الملك للطراد . فقامت الفتاة وفتحت باب الاسطبل واختارت فرسين اصيلين وطلبت الى الخادم ان يبيعهما فى السوق . وقد صادف الخادم زوجها الذى اشترى الفرسين . كان ذلك فى اليوم الموعود مع زوجته . وما ان أنبأ الليل بقدومه حتى توجه الى المكان المحدد ينتظر . وهناك ظل ينتظر بقلب ملهوف يعد الدقائق والثوانى الى ان انتصف الليل ولم تخرج صاحبته ، وهنا هاجمته جحافل النعاس وراح يسبح فى عالم النوم .

وفى هذه اللحظات . . تصادف ان مر متشرد أصلع ثملا يترنح وكان اصلع الرأس ، فرأى الرجل النائم والفرسين . فقال لنفسه : ماذا يفعل هذا الرجل هنا فى هذا الوقت من الليل ؟

وفيما الاصلع يقترب من النائم لمح ربطتين تطيران من داخل السور ، وقفزت وراءهما امرأة من فوق السور . فظن الاصلع ان فى الامر شيئا . . لا بد ان الملك كان قد اختطفها مثلما اعتاد ان يخطف النساء ، ولا بد ان هناك تدبيرا لأمر ما . ولما نزلت الفتاة نادت عليه ، دون ان تدقق النظر فيه ، ان يضع الربطتين على الفرسين ثم وثبت على فرس والاصلع على الاخرى وانطلقا مع الطريق مثل انطلاق السهم . وظلا يعدوان حتى اصبحا

فى مأمن ونظرت الفتاة وراءها فلم تلمح احدا يطاردهما فتنفست الصعداء ، واخذت تنسق فى شعرها وتصنفه والفرس تمشى على مهل ، ثم سألت "زوجها" :

– كيف تجدنى ؟

لم يجسر الاصلع ان يجيب على سؤالها خشية ان يفتضح امره وانما اكتفى بايماءة منه . فاستغربت الفتاة ودنت منه بفرسها فرأته ليس زوجها ، فعضت على انامها ندما وحسرة . يا للكارثة ! هربت من فم النمر لتقع فى براثن الذئب !

لم تيأس الفتاة ولم يهن عزمها ، بل واصلت المسير وعقلها فى دوامة يفكر فى وسيلة للخروج من المأزق . ومع انبلاج الصبح ، اقتربت من الاصلع وقالت له :

– قد قررت الزواج من اول من يقابلنى بعد الهروب . وها انت اول من قابلته . ولكن انظر الى رأسك . . فما أقبحه ! كيف تتزوجنى ؟ عليك ان تحضر قدرا من الزيت اعالج به صلعك ، ومن ثم اتزوجك . فما رأيك ؟

اعتقد الاصلع ان طاقة الحظ قد فتحت له ، اذ سيكسب زوجة ندر مثيلها فى الجمال ، وسيشفى رأسه من الصلع . انها ضربة حظ ولا ريب !

واسرع الاصلع الى قرية قريبة اشترى منها زيتا وعاد . وطلبت منه الفتاة ان يجمع حطبا ففعل . ثم اخذت تغلى الزيت وتتظاهر بعلاجه . فصبت الزيت المغلى على رأس الاصلع الذى

لفظ روحه غير مأسوف عليه .. فهو وغد شرير ، وموته خير من حياته .

وانطلقت الفتاة على الفرس . وفى الطريق التقت اربعة صيادين . وما كادوا يرونها حتى دب النزاع بينهم فيمن ستكون من نصيبه . فقالت لهم :

— لا فائدة ترتجى من هذا النزاع وذاك الجدال . لا يمكننى — بطبيعة الحال — ان أتزوج منكم أنتم الاربعة . ناولونى نبالكم ، وسأرمى كل سهم فى جهة من الجهات الاربع ، ولسوف اكون من نصيب اول من يعود بسهم .

سر الصيادون لرأيها ، اذ كل منهم يعتقد انه أسرع من غيره ، فردوا جميعا بصوت واحد : رأى جيد ! لنبدأ !

وتناولت الفتات النبال واطلقت كلا منها فى جهة الى ابعد ما يمكن . وهرع الاربعة كل الى جهته ، اما هى فانطلقت بها الفرس بكل عزم .

وفى الطريق ، التقت الفتاة اربعة من الاشرار المغامرين فتنازعوا بدورهم فيمن تكون له . فقالت لهم :

— سأصب لكل منكم قدحا من الخمر . فمن شربه دفعة واحدة ولم يفقد وعيه فانى أتزوجه .

واستجاب هؤلاء المغامرون لرأيها ، فصبت لهم وسكروا جميعا وغابوا عن الوعى . ومن ثم نجت الفتاة من هذه المصيبة الجديدة .

ادركت الفتاة انها امرأة يطمع فيها الناس لا سيما والطريق

محفوف بالمكارة والمخاطر . فتنكرت فى زى رجل ، وظلت تواصل سيرها على الفرس الى ان دخلت مدينة .

كانت المدينة كأنها فى يوم عيد . . الناس فى ملابس زاهية ، يحملون لحوما ودجاجا وحماما ، وكل منهم فى جوار الآخر كأنما هم فى شغل شاغل . فدنت من احدهم وسألته :

– ما الخبر ؟ ماذا انتم تصنعون ؟

فأجابها :

– توفى ملكنا . وقد اطلق " طائر السعادة " ، ومن حط عليه اخترناه ملكا علينا .

وفيما هى تتحدث مع الرجل ، ظهر " طائر السعادة " محوما فى الجو ، وانطلقت هتافات الناس ، كل منهم يرجو ان يحط عليه فيصبح ملكا . ولكن الطائر ، حط ، بعد عدة دورات ، على كتف الفتاة المتنكرة فى زى رجل . وتصايح الناس وألقوا ما فى ايديهم واحاطوا بها حتى ادخلوها القصر دون ان تتاح لها فرصة معرفة ما حدث . كان ذلك مفاجأة لها لم تخطر بالبال . وحاولت ما امكنها ان تعتذر ولكن من غير طائل . فهذا تقليد عريق متوارث ، ومن يخرج عليه يلق العقاب .

واصبحت الفتاة ملكا على بلاد واسعة الاركان يخضع لها الملك الذى حاول ، عنوة ، ان يتزوجها . تربعت على عرش الملك تتلقى التهانى وتدير دفة الحكم فى عدل وانصاف فأحبها الناس واثنوا عليها قائلين :

– ما اسعدنا بهذا الملك الفاضل !

وعاش رعاياها فى سعادة وهناء . وزاد حبهم وتقديرهم لها .
وفى يوم سألها جماعة منهم :
— لماذا ليس لك شريكة حياة يا صاحب الجلالة ؟ أليس من الافضل ان تكمل نصفك الآخر ؟
وكان ردها عليهم :
— لست فى عجلة من امرى فى هذا الشأن . لم يحن الاوان بعد . وعندما يحين الاوان سأطلعكم على ما قر عليه رأيى . وظل الامر على حاله فى طى الكتمان .
وفى يوم ، دخل عليها الوزير الديوان وقال لها :
— اربعة صيادين ، يا صاحب الجلالة ، بالباب ، يدعون بأن امرأة قد وعدت بالزواج من احدهم ثم فرت هاربة وهم لا يعرفون اين ذهبت ، ويستفسرون ان كانت دخلت المدينة . فما رأى جلالتكم ؟
وأمر "الملك" ان يعتقل الصيادون الاربعة ريثما يعثر على المرأة .
ثم دخل عليها الوزير وقال :
— قدم اربعة آخرون وزعموا ان امرأة قد وافقت على الزواج من احدهم ، ولكنها اسكرتهم وخدعتهم .
وأمر " الملك " ان يعتقل الاربعة ريثما يعثر على المرأة .
ومرت ايام وجاء الملك الذى سبق وأراد اكراه الفتاة على الزواج منه . فاضطرت ان تستقبله على كره منها . عرفته ولكنه لم يعرفها . وهم بأن يفاتحها فى امر الفتاة التى هربت منه ولكنها أسرعت تخبره انها مشغولة ، وعليه ان يحكى للوزير ما يود ان

يقوله ، ففعل . وجاء اليها الوزير يعيد عليها ما سمعه منه بأنه يبحث عن امرأة " تزوجها " وهربت منه . فأمرت ان يعتقل ريثما يعثر على المرأة . وذهل الوزير وتردد فى اعتقال الملك . ولكن هذه هى الاوامر ، ولا بد من تنفيذها حرفا حرفا .

ومرت عدة ايام أخر .. وجاء الوزير يبلغ " الملك " ان شابا بائسا قد دخل المدينة يبحث عن زوجته . فماذا يعمل ؟ أ يعتقله ؟ فأمرته ان يحضره بين يديها . فتملك العجب الوزير لهذا المزاج الذى يتحلى به " الملك " .. كيف لم تأمر باعتقاله هو الآخر ريثما يعثر على زوجته ؟! أمر غريب !!

واحضر الوزير هذا الشاب البائس امامها ، فعرفت انه زوجها الذى حرمت بسببه النوم ومتع الحياة . ما اشد ما كان حنينها وشوقها اليه ! ها هو الآن بين يديها . لم يعرفها هذا المسكين . وأمرت الجميع بالانصراف ما عدا الشاب . وقالت له :

– انت تبحث عن زوجتك .. أليس كذلك ؟

– بلى !

– هل تذكر فيها علامة ؟

– نعم .. فى صدرها شامة .

وهنا لم يسعها الا ان كشفت عن صدرها وقالت :

– انظر هنا ! هل هى هذه ؟

فرفع رأسه ، وقال لنفسه : أ هو فى حلم ؟! وصاح :

– اذن .. هى انت ... كيف ....

وعلى الفور قالت :



– امسك عليك فمك . . ستخرج الآن . . وغدا تتنكر فى زى امرأة ، وتقابلنى فى مطعم " العافية " .

وفى اليوم التالى . . خرجت مع كبار رجال الحاشية والوزراء الى شوارع المدينة الى ان وصلت الى مطعم " العافية " ، واذا بالمطعم شابة كانت تتناول الطعام . وعادت الى القصر ، وطلبت من الوزراء ان يحضروا لها تلك المرأة للزواج منها فأرسلوا الحجاب فأحضروها . واقيمت ليلة من الافراح ما بعدها ليلة . وبعد ذلك ، اطلعت زوجها على ما حصل لها وجرى منذ ان خرجت من القصر الى ان توجت " ملكا " . وأخذت تدربه على شؤون الادارة ، وتعلمه فنون الحكم . وبعد ما تأكدت من ذلك ، البسته ثوب الملك ليتولى مسؤولية ادارة دفة الحكم بنفسه . ثم قالت له انه لا بد من كشف الحقيقة للجماهير ان عاجلا ام آجلا .

وفى ذات يوم ، وعلى حين فجأة ، دقت النواقيس باجتماع عام لجموع الشعب ، فتجمع امام القصر خلق كثير ، وخرجت عليهم من الشرفة تخاطبهم وتحكى لهم الحقيقة . فتأثر الناس ، وسالت مآقيهم . وطالبوا بمعاقبة من اساؤا اليها . ولكنها اصدرت عفوا عن الصيادين الاربعة والاشرار الاربعة . . يكفيهم العقاب الذى نالوه . وهنا هتف الناس بحياة الملكة العادلة ، وعم الرخاء البلاد ، وعاش كل انسان فى امان . اما هى وزوجها فجمعتهما السعادة التى عوضتهما عما فات من حياتهما ، وظلا ينعمان فيما هما فيه الى ان داهمهما – بعد عمر طويل – هادم اللذات ومفرق الجماعات .

ملك شجرة الرمان

(حكاية ويغورية)

يحكى فى قديم الزمان ان شخصا يدعى ملكا قد نشأ فى احضان الفقر ليس له من الدنيا سوى شجرة رمان فى صحن الدار ، صار يرعاها ويهتم بها من تشذيب وسقى وتسميد . كانت فى نظره هى الولد ، ولا شئ أغلى من الولد . لا يدع احدا يقترب منها او يصيبها بأذى ، وكان لا يفارقها ليل نهار ولا سيما اذا اثمرت ، فيجلس تحتها لا يروم مكانا آخر . فأطلق عليه الناس لقب "ملك شجرة الرمان" لازمه طوال حياته .

وفى ذات ليلة ومالك تحت شجرة الرمان غالبه النعاس فلم يستطع له مقاومة ، وراح فى سبات عميق . ولما أصبح الصباح تفقد ثمار الرمان فوجدها تعرضت للسطو ، فلام نفسه لوما شديدا . . كانت خسارة فادحة !!

وبعدئذ ، عزم ملك الا ينام الليل حتى لا يتعرض لما تعرض له من قبل من خسارة لم تخطر على البال . وفى ليلة من الليالى ، تناوم تحت شجرة الرمان لعل وعسى ان يكتشف من السارق . وان هى الا لحظات حتى سمع صوتا فوق الجدار ، ففتح عينيه فرأى ثعلبا يقفز فوق الجدار . التفت الثعلب يمينا ويسارا ليطمئن

بأن مالكا نائم . وفى خفة ورشاقة ، تسلق الشجرة ، فهب مالك وأمسك بالثعلب من ذيله وقال :

— ها قد وقعت ايها اللص الآثم . سألقنك درسا لن تنساه طيلة حياتك .

ولكن الثعلب ذو حيل ، وبمكره ضربت الامثال . فأخذ يقلص جسمه حتى تملص من يدى مالك ووثب فى قوة ، وانطلق كالسهم موليا الادبار .

تضايق مالك من الثعلب . ماذا يفعل ؟ يحرس شجرة الرمان من بنى الانسان .. وهذا هو الثعلب يشكل تهديدا جديدا .

وفى مرة ، زاره جار له تقدم به العمر ، فرأى على وجهه مسحة من حزن ، فسأله العجوز :

— ماذا بك ؟ ما الذى يحزنك ؟

وأشار مالك الى شجرة الرمان وقال :

— قد دأب الثعلب على السطو على شجرة الرمان . وها هو قد أتى على ما يقرب من نصف ثمارها . لست ادرى ماذا افعل !

وقال العجوز :

— ارى ان تدهن الجدار بالصمغ . وعندما يأتى الثعلب فلا بد ان يلتصق به وعندئذ تمسك به .

وفعل مالك بمثل بما نصح العجوز . وفى الليل ، جاء الثعلب كعادته . وما ان لمس الجدار حتى التصق به ، فأسرع اليه مالك يصب عليه حمما من الغضب ، وما كاد يرفع العصا ليهوى بها على رأسه حتى توسل اليه يقول :



ـــ اعف عني ايها الملك مالك ! لسوف اساعدك وأسعدك .
انى سأسعى لزواجك من سيدة كريمة !

زاد كلام الثعلب من نيران الغضب المتأججة فى نفس مالك وقال :

ـ تسخر منى أيها الثعلب الحقير ؟ انك تعرف انى لا أملك خردلة .. فمن يرضى ان يزوجنى ابنته !

وفيما مالك رافع العصا ، عاد الثعلب يتوسل ويقول :

ـ لا .. لا .. لا تضرب . ما قلت لك الا الصدق . انى قادر على ان أزوجك فعلا .. اننى واثق مما أقول .. سأزوجك من ابنة الملك .

وما كان من مالك الا ان أنزل العصا . وعفا عن الثعلب وأطلق سراحه .

وفى الصباح .. توجه الثعلب الى الملك وقال له :

ـ طاب صباحك يا ملك ، جئت اليك استعير غربالا من عندك لتنقية الجواهر والاحجار الكريمة مما علق بها من مواد عند ملكنا مالك . فقد بلغنى انه لا يوجد غربال يصلح لذلك سوى غربالك ، فبعثنى اليك .

وكان الملك قد سمع عن الملك مالك ، فأعاره الغربال . وخرج الثعلب مسرورا حاملا الغربال وسرق بعضا من الجواهر واللآلىء ودس فى فتحات الغربال عددا منها . ثم حمل الغربال بعد عدة ايام وتوجه الى الملك يعبر له عن عاطر امتنانه . والقى الغربال امام الملك فتناثرت منه الجواهر واللآلىء على الارض . وما كاد يراها الأمراء والأميرات حتى اقبلوا عليها يلتقطونها . فقال لهم الثعلب :

– ماذا تفعلون بها ؟ لو كنت عرفت انكم تحبون هذا لنقلت اليكم احمالا منه . فعند ملكنا مالك الكثير والكثير منها .

ولما سمع الملك كلام الثعلب سر سرورا لا يوصف ، وبالغ فى اكرام الثعلب ، واجلسه الى جواره وقال له :

– عندى ثلاث بنات . كم يسعدنى ان ازف احداهن الى الملك مالك . او يمكنك ان تكون وسيطا بيننا ؟ انه لشرف واى شرف ان يقترن ملككم باحدى بناتى .

وكانت الأميرات الثلاث يستمعن الى كلام ابيهن الملك ، فأخذت كل واحدة تنافس الاخرى فى اى منهن ستكون من نصيب الملك مالك .

وقال الثعلب :

– لا داعى للعجلة . فلست أدرى ان كان الملك مالك راغبا فى الزواج ام لا . لا بد ان أسأله اولا . . وان كانت له رغبة فسأعود اليكم .

عاد الثعلب الى مالك وقص عليه ما حدث معه وقال :

– الآن كل شئ جاهز . . وافق الملك على تزويجك من احدى بناته . فما عليك الا ان تستعد وتسرع معى بالذهاب للقائه .

وطار مالك من الفرحة . . ولكنه اخذ يفكر فى الامر . كيف سيتزوج وهو فى حالة من الفقر لا توصف . وطرح الامر على الثعلب يستطلع رأيه ويطلب مشورته . فقال له الثعلب :

– لا تهتم بهذا . سأتدبر الامر واحتال له .

وانطلق مالك والثعلب الى حاضرة الملك الى ان وصلا الى نهر كبير دافق الجريان يحيط بالمدينة . فقال الثعلب لمالك :

ـ اغطس فى النهر ولا يظهر منه الا رأسك . لا تتحرك وانى ذاهب لأجد لك حلا .

وهرع الثعلب الى مجلس الملك وقال له :

ـ قد جاء ملكنا ومعه اربعون جملا محملة بالنفائس من الأحجار الكريمة والجواهر . وعلى غير المتوقع جرفت مياه النهر الجمال اثناء العبور . وكاد الملك مالك يهلك . ومن حسن الحظ اننى انقذته . . حتى ملابسه قد جرفها النهر .

وكان وقع كلام الثعلب طيبا فى نفس الملك ، وانفرجت اساريره بأن الملك مالك قد ساق اليه اربعين جملا مثقلة بالهدايا وجاء يطلب يد احدى بناته ، وقال :

ـ ان كانت المياه قد جرفت الهدايا فكأننى قد استلمتها . هذا غير مهم المسألة الأهم ان نسرع اليه ونستقبله .

وبعث الملك حشدا من الخيالة حاملين الحلل النفيسة لمالك ، ومن جهة اخرى جمع الوزراء وجموعا من الشعب لاستقباله .

ودخل مالك المدينة فى أجمل زينة على فرس اصيل . واقام له الملك الولائم والافراح اربعين يوما متواصلة .

وبعد الزواج قال الملك مالك للثعلب :

ـ ليس معقولا ان ابقى هنا طوال اليوم . لا بد من ان أعود . وانك تعرف حالى وما أنا فيه من ضنك وشقاء . فما العمل ؟

فقال له الثعلب :

– لا تخش شيئا . عليك ان تبقى فى ضيافة الملك ، وتظاهر بالعظمة والمهابة . لا تكشف عن حقيقتك لأحد . واترك لى الامر وسأتدبر وسيلة تنفعك .

وجاء يوم استأذن فيه مالك وعروسه الاميرة . وبعث معهما الملك موكبا من الفرسان على رأسهم كبير الوزراء محملين بالهدايا يرافقونهما الى حيث يقيم مالك .

وبينما الموكب يقطع البرارى ، قال الثعلب :

– دعونى اتقدمكم استطلع لكم الطريق خشية ان نؤخذ على غرة ، فأنبهكم ان كانت ثمة مخاطر .

وارخى الثعلب ارجله للريح . وفى الطريق صادف قطيعا لا عدد له من الجمال . فاعترض الراعى طريق الثعلب وسأله :

– ما بالك تلهث يا ثعلب ؟

ورد عليه الثعلب :

– يجرى ورائى قطاع طرق ينهبون ويسفكون دم كل من يلتقون . فهيا اهرب معى . لا وقت للتفكير !

وجال الراعى بعينيه فلمح الغبار يتطاير الى السماء من بعيد . فسأل الثعلب :

– ماذا افعل ؟ أليس لديك من حيلة تنقذنى ؟

فقال له الثعلب :

– اذا سألوك لمن هذه الجمال فقل لهم انها للملك مالك فلا يؤذونك بشئ .

ووعده الراعى بذلك ، وانطلق الثعلب لحال سبيله .

ولما اقترب الموكب من قطيع الجمال ، دنا كبير الوزراء من الراعى وسأله :

ـ لمن هذه الجمال يا رجل ؟

وما اسرع ما جاء رد الراعى :

ـ انها للملك مالك يا سيدى .

فقال كبير الوزراء متعجبا :

ـ ما اكثر الابل ! ما أغنى الملك مالك !

وقابل الثعلب فى اثناء عدوه قطيعا مهولا من الخيل . فسأله السائس :

ـ ماذا دهاك يا ثعلب ؟ لم انت فى عجلة من امرك ؟

فقال الثعلب :

ـ اسكت يا أخى ! كدت أهلك . يجرى خلفى قطاع طرق يسفكون الدماء وينهبون كل ما تقع عليه عيونهم .

فارتعدت اوصال السائس وقال للثعلب :

ـ كيف لى ان اتخلص من هذه المصيبة ؟ دبرنى برأيك ؟

فقال له الثعلب :

ـ ان سألوك شيئا فقل لهم ان هذه الخيل للملك مالك فلا يمسونك بأذى .

وواصل الثعلب ينهب الطريق عدوا بلا توقف .

ولما اقترب الموكب دنا كبير الوزراء من سائس الخيل وسأله :

ـ لمن هذه الخيل يا فتى ؟

فأجاب السائس فى تواضع مشبوب بالرهبة :

ـ انها للملك مالك يا سيدى .

وكانت الاميرة وهى تسمع رد السائس ورد الراعى قبله . قد ابتهج قلبها وانفرجت اساريرها ، وتمنى نفسها بأطيب الأمانى حين تصل الى مقر اقامتها .

وفيما الثعلب يعدو ، التقى قطيعا من الاغنام لا يعرف أوله من آخره : وأخذ الثعلب يصيح بأعلى صوته على الراعى :

ـ يا راعى الغنم ! ضع ثيابك فى اسنانك واهرب ! قطاع الطرق فى الطريق اليك !

امسك الرعب بتلابيب الراعى ، وأخذ ينوح ويبكى وقال للثعلب :

ـ كيف افلت من قطاع الطرق ؟ الا من نصيحة لديك ؟

فقال له الثعلب :

ـ ان سألوك شيئا فقل لهم ان الاغنام للملك مالك .

وواصل الثعلب العدو . ووصل الموكب الى قطيع الاغنام . وحال كبير الوزراء الى الراعى وسأله :

ـ لمن هذا القطيع يا غلام ؟

فأجاب الراعى متلعثما :

ـ انه للملك مالك يا سيدى .

فقال كبير الوزراء للملك مالك :

ـ ما اكثر ابلك وخيلك وغنمك يا صاحب الجلالة .

ولكن مالكا كان فى حيرة من أمره لا يدرى لذلك سببا .

وما زال الثعلب يعدو مستميتا فى العدو وقد أخذ منه اللهاث

والاضطراب كل مأخذ الى ان اقتحم قصر كبير الشياطين ، فتلقاه كبير الشياطين وسأله :

ـ ماذا بك يا ثعلب ؟ ماذا وراءك ؟ أ خير ام شر ؟

فأجاب الثعلب وهو ما زال يلهث :

ـ الملك مالك ! الملك مالك يا سيدى ! انه جاء على رأس جيش عرمرم ينوى التنكيل بك والقضاء عليك . وقد خشيت على نفسى منه ايضا . ابحث لك عن مهرب .. لا تفوت لحظة يا سيدى !

وارتعب كبير الشياطين وسأله :

ـ ما العمل ؟ هل لديك وسيلة ننجو بها ؟

ورد عليه الثعلب :

ـ الفرن ! عليك ان تختفى فى الفرن يا سيدى ، وانا سأسد فتحته بالحطب ليواريك .

وسمع كبير الشياطين كلام الثعلب ودخل الى الفرن . وجمع الثعلب اكواما من الحطب واشعل فيها النيران التى جعلت من كبير الشياطين هباء منثورا .

ووصل الموكب الى القصر واحتلت الأميرة احسن ما فيه من غرف مفروشة بفاخر الاثاث وفيها من الجواهر واللآلئ ما لم تقع عليه عين وما لم تسمع به اذن .

وفى يوم من الايام .. جاء الثعلب الى مالك وقال له :

ـ قد اديت لك ما وعدتك به . وبذلت فى سبيلك كل ما امكننى من جهد وقوة وذكاء . أريد ان أسألك . فقال مالك :

ـ اسئلتك اوامر ! تفضل بالسؤال .

فقال الثعلب :

ـ قل لى ماذا تعمل بى حين أموت ؟

فقال مالك :

ـ سأحملك على رأسى وأقيم لك مأتما لائقا . ولن انساك ما دمت حيا .

وبعد عدة ايام سقط الثعلب فى ساحة القصر ميتا . فأخبرت الأميرة الملك بالامر فقال لها :

ـ القيه فى حفرة .

ولم يكد مالك ينتهى من كلامه حتى هب الثعلب وقال متسائلا :

ـ لماذا تكذب على يا سيدى ؟

فخجل مالك من نفسه ، وأخذ يتعلل بأعذار شتى ويطلب المعذرة من الثعلب . وقال مالك :

ـ اعدك انك اذا مت قبلى فسأحملك على رأسى وانفذ ما سبق وقلته لك .

ولما مات الثعلب اقام له مالك جنازة مهيبة ، وحمله على رأسه . فلما رأى الناس ذلك صاروا يصنعون من فراء الثعالب قبعات يضعونها على رؤوسهم .

ظلال التوت

(حكاية ويغورية)

يحكى انه كان فى قرية رجل ثرى واسع الثراء ، يقع بيته بجانب الطريق ، وامام باحته شجرة توت كبيرة . كلما أقبل الصيف ، جلس هذا الرجل الغنى تحت الشجرة يستظل بها .

وفى يوم من الايام جاء انسان فقير يستظل بشجرة التوت . ولما رآه الغنى صاح به قائلا :

ـ هيا انصرف بسرعة . كيف لك ان تستظل هنا !

قال الفقير :

ـ انصرف ؟ انى اريد ان استريح هنا . وما شأنك انت ؟

قال الغنى :

ـ هذه الشجرة ملكى انا . انا الذى زرعتها وسقيتها . وبطبيعة الحال فان ظلالها هى الأخرى ملك لى .

قال الفقير :

حسن . . اذن بعنى هذه الظلال وسأدفع لك بعض النقود .

وحين سمع الغنى كلمة "النقود" تراقصت امعاؤه من الفرح وقال :

ـ حسن ! حسن ! ابيعها لك .



فدعوا ثلاثة رجال يشهدون عليهما . ثم باع الغنى تلك الظلال الى الفقير .

ومنذ ذلك الوقت والفقير يأتى كل يوم ليستريح تحت ظلال الشجرة ، بل انه كان يستريح حينا فى باحة الغنى اذا ما امتدت الظلال اليها ، وفى مطبخه حينا آخر اذا ما انتشرت الظلال عليه ، وفى حجرة الجلوس حينا ثالثا اذا ما تجاوزت الظلال اليها . . اى انه كان يستريح أينما تصل الظلال . فى اول الامر كان الفقير يجيء وحده ، ولكن بمرور الايام بدأ الفقير يدعو كل معارفه ليستظلوا معه ، بل يسمح للحمير والمواشى كان يركبها اصدقاؤه تدخل مع اصحابها لتستظل هى الأخرى .

ولم يتحمل الغنى هذا الامر ، فقال للفقير فى احد الايام غاضبا :

— اسمع يا رجل ! لماذا تستظل فى الباحة وفى قاعة الاستقبال ايضا ؟ اياك ان تدخل الى هنا فيما بعد !

أجابه الفقير :

– اما اشتريت ظلال الشجرة منك ؟ هذا حقى .. استظل وقتما اشاء أينما وصلت الظلال !

اشتد غضب الغنى وهو يسمع هذه الكلمات ولكن ليس بوسعه ان يفعل شيئا .

وفى يوم من الايام حضر الى الغنى ضيوف ، فجلسوا فى قاعة الاستقبال . وحينئذ جاء الفقير ، ودخل القاعة مزهوا ، والقى بنفسه بين الظلال دون اى اكتراث بمن فيها ومن حوله ، فاستغرب الضيوف جميعا ، ثم ضحك كل واحد منهم بملء شدقيه بعد ما عرفوا قصة بيع الغنى ظلال شجرته .

وبعد مدة ، لم يرض الغنى ان يبقى مقيما فى هذه القرية ، فارتحل مضطرا الى مكان آخر . اما الفقير ، فسكن فى هذا البيت ، وأصبح اسطبل حصان الغنى حظيرة لحماره .

وبعد ذلك ، سمح الفقير لكل من أراد ان يستظل بشجرة التوت الكبيرة .

الغنى والاجير
(حكاية ويغورية)

فى سالف الزمان والاوان كان هناك رجل غنى استكرى اجيرا اسمه زريق . وعلى رأى المثل : لا يستطيع الاجير ان يرضى سيده الا اذا حول النحاس الى ذهب . وكان زريق لا يبخل بجهد طول السنة لارضاء سيده الذى لم يقنع بذلك ابدا واعماه الجشع ، فكان يصب على الاجير وابلا من حمم الشتائم والسباب .

ذات يوم توجه الرجل الغنى لحضور مأدبة فى قرية مجاورة . واصطحب معه الاجير زريق لاظهار عنجهيته وكبريائه .

ولما وصلا الى بيت المضيف دخل الغنى وحده وانكب على التهام الطعام تاركا الاجير زريق خارج البيت .

ولما فرغ من تناول الطعام ، واخذت الجلسة حقها ، استأذن الرجل الغنى فى الانصراف . فقام المضيف يودعه الى باب البيت فرأى الاجير واقفا خارج الباب . فقال المضيف للغنى معتذرا :

— عفوا يا عزيزى . . لست اعرف ان خادمك خارج الباب ، لماذا لم تدعه يدخل ويتناول شيئا من طعام ؟

وهز الغنى رأسه وقال فى عدم اكتراث وبلا مبالاة :

— هذا شئ بسيط ! ما دمت انا اكلت فكأنما هو الذى اكل !



وكتم زريق الغضب فى جوانحه بعد سماع هذا الكلام .
ولم ينبس ببنت شفة ، وامسك بزمام الحصان وساعد الغنى فى امتطائه ثم سار وراءه ميمما نحو البيت .

ظلا يسيران الى ان وصلا الى نهر عميق الاغوار شديد التيار وليس عليه جسر ، عبره الغنى فى المرة الاولى على ظهر زريق .
وفى هذا الوقت وامام التيار الجارف برقت فى ذهن زريق حيلة — القى بنفسه الى النهر وعبره متظاهرا بعدم سماع نداء سيده ليحمله على ظهره كما فعل اول مرة .

ولم يسع الغنى الذى لا يعرف السباحة الا ان قفز الى الماء : واخذ يصارع التيار الجارف مستغيثا بزريق وصائحا :

— يا زريق ! النجدة ! النجدة يا زريق !

وقتئذ .. كان زريق يقف على الشاطئ المقابل واجابه بلا اكتراث :

— لا بأس ! عبرت انا النهر وكأنما انت الذى عبرته ! واحدة بواحدة والبادى اظلم !

لم ينته زريق من كلامه حتى كان التيار قد جرف الرجل الغنى الأشر وابتلعه .

الملك الطماع والوزير المتملق
(حكاية ويغورية)

كان فى قديم الزمان امرأة عجوز تعيش مع ابنها فى بيت منعزل خارج المدينة عند ضفة نهر كبير . وكان الابن يغدو الى النهر كل يوم يصطاد السمك ، فيحمله الى السوق ليشترى بثمنه ما يلزمه وامه العجوز ، وظل على هذه الحال فترة ليست قصيرة من الزمان .

وذات يوم ، اصطاد الابن سمكة صغيرة ذهبية اللون . ففرح بها وعاد الى امه مسرورا . وطلبت منه ان يبيعها فى السوق . ولكن الابن قال :

ـ اود ان اقدمها الى الملك ، فلربما تكرم علينا بشيء . فهو يحب السمك الذهبى ويحاول شراءه من كل مكان .

لم توافق الام على ذلك وقالت له :

ـ الملك لن يتكرم علينا بشيء . بل ربما جلب عملك هذا متاعب علينا .

لم يصغ الابن الى امه ، وذهب ومعه السمكة الذهبية الى قصر الملك . ولما مثل الصياد بين يدى الملك الذى كان متربعا على

عرشه مسترخيا مغمض العينين وحوله الوزراء ، قال وبين يديه السمكة الذهبية :

— يا صاحب الجلالة ! تفضلوا بقبول هذه الهدية البسيطة !

وعندما رأى الملك السمكة الذهبية الجميلة تقفز فى كفى الصياد طفح السرور من عينيه ، وقال لكبير الوزراء :

— اقبل الهدية . واغدق عليه فى سخاء !

وتناول كبير الوزراء الهدية وقال :

— عفوكم يا صاحب الجلالة ! حقا ان السمكة الذهبية جميلة ! ولا ريب انها ستضفى على القصر زينة . ولكنها وحدها يصعب تربيتها . فيا حبذا لو امرتم الصياد بأن يصطاد سمكة ذهبية اخرى . وعندئذ نخلع عليه من الهبات ما يليق .

وهز الملك رأسه موافقا . وامر الصياد بأن يجلب له سمكة ذهبية اخرى تشبه هذه السمكة .

وحزن الصياد حزنا شديدا وندم اشد الندم بأنه لم يسمع نصيحة امه . لم يكن بيده حيلة ، وليس امامه الا الذهاب الى النهر .

ومضت ثلاثة ايام متتالية لم يترك الصياد النهر ، ولكن بدون جدوى . وبينما هو ساهم شارد الفكر والجوع والظمأ قد عضاه بأنيابهما وكان يتأهب للعودة رفع صنارته من النهر فوجد بها سمكة ذهبية اشبه بسابقتها . فسر بها سرورا عظيما وعاد الى البيت راكضا ليبشر امه . ثم اسرع فى التوجه الى الملك .

وفرح الملك بالهدية وامر بمكافأته . غير ان كبير الوزراء قال :

— تربية هاتين السمكتين الذهبيتين الصغيرتين ، يا صاحب

الجلالة ، تحتاج الى مياه سماوية ! فأرى ان نؤجل المكافأة بعد ان يجلب لنا تلك المياه ! ما رأيكم ؟

راقت الفكرة للملك ، فقال للصياد :

– اذهب واحضر المياه السماوية لنا ، كى لا تموت السمكتان ظمأ . والا امرت بفصل رأسك عن جسدك .

اغتم الصياد بعد سماع كلام الملك . ولم يكن يتوقع ان بصرفه هذا سوف يجلب لنفسه المحن والشدائد . وخرج الصياد من عند الملك يتلمس الطريق بحثا عن المياه السماوية غصبا عنه . وصل الى شجرة كبيرة فجلس تحتها يرتاح . وهناك كان ينبوع يداعب النسيم العليل سيله الجارى ويتمايل العشب على جانبيه .

نام الصياد من غير وعى ، ورأى فى منامه عجوزا حنونا ابيض الشعر ، وضاء المحيا ، ريان الجسم . فقال له العجوز :

– كيف جئت الى هنا يا ولدى ؟

فحكى الصياد له حكايته المريرة .

فقال العجوز :

– لا تقلق يا ولدى . واصل السير فى هذا الطريق وستصل الى بحيرة واسعة ، ثم اختبئ فى الغابة هنالك . وستأتى الى البحيرة خمس حمامات حوريات يستحممن فيها . ثم عليك ان تأخذ ملابس احداهن وتخفيها ولا تردها اليها الا بعد ان تعدك باحضار المياه السماوية .

استيقظ الصياد فزعا ولم يجد اثرا للعجوز الذى كان يحاكيه



قبل قليل . وانطلق الصياد فى الطريق الذى اشار اليه العجوز بلا كلل ولا ملل . ولم يعرف كم مضى عليه من الايام وكم قطع من الجبال وكم تجاوز من الوديان وكم عبر من الصحارى . وفى اثناء ذلك لم يصادف ولو قطرة واحدة من الماء ناهيك عن البحيرة الواسعة التى ذكرها العجوز . ولكن اليأس لم يتسلل الى قلبه بل ظل يسير ويسير طيلة اربعين يوما بلياليها الى ان لاحت امام عينيه بحيرة واسعة زرقاء رقراقة .

كان عند البحيرة غابة كثيفة انتشرت فيها الازهار الفواحة تحوم فوقها الفراشات الزاهية الالوان . واتخذ الصياد له مكمنا فى الغابة .

وبعد فترة ليست طويلة ، حامت فوق البحيرة خمس حمامات بيض ناصعة البياض وحططن الى الشاطئ ، وفى لمح البصر تحولن الى خمس فتيات خلعن ملابسهن ووضعنها على الشاطئ . ونزلن الى الماء يلهون ويلعبن . وانتهز الصياد الفرصة واخذ ملابس احداهن وخبأها .

ولما انتهين من الاستحمام ، عدن الى الشاطئ فوجدن ان ملابس احداهن قد اختفت . واخذن يبحثن عنها فى كل مكان ، ولكن لم يعثرن لها على اثر . ولما لم يكن ثمة فائدة فى البحث طارت اربع حمامات وبقيت الخامسة وحدها .

وخرج الصياد من الغابة وجاء الى الفتاة وقال :

— ايتها الفتاة النبيلة ! اننى فى ورطة ما بعدها ورطة . قد طلب منى الملك ان اجلب له الماء السماوى . واذا لم افعل فسوف يقطع رأسى . اتوسل اليك ان تساعدينى فى ايجاد هذا الماء ، ثم ارد اليك ملابسك !

قبلت الفتاة مطلبه وارتدت ملابسها وتحولت الى حمامة وطارت .

وبعد لحظات ، عادت الحمامة وفى فمها ثمرة جوز . ثم حطت على الارض وتحولت الى فتاة وقالت :

— خذ هذه الثمرة ! واذا ما دققتها بالارض تحولت الى بحيرة واسعة .

ثم عادت حمامة كما كانت وطارت .

عاد الصياد الى البيت فرحا مسرورا ، وزف الى امه البشرى .
وبعدئذ توجه الى الملك الذى ما ان سمع الحكاية حتى ارتاب فى امره ، وقال :

ــ مستحيل ! مسحيل ! انك تهزأ !

فخرج الصياد ومعه الثمرة من القصر ، ودق بها الارض ، وفى الحال ظهرت بحيرة كبيرة جميلة امام بوابة القصر .

وذهل الملك والوزراء . وعندها تقدم كبير الوزراء من الملك وقال له متزلفا :

ــ يا صاحب الجلالة ! هذه البحيرة جميلة حقا . لو بنى على شاطئها عرش من ذهب ، أمكنكم ان تستريحوا وتستمتعوا هنا ! أليس هذا افضل ؟ يستحسن ان تطلبوا من الصياد ان يحقق لكم ذلك فى غضون هذه الليلة ، وان لم يتخلف عن ذلك صرفنا له المكافأة .

ووجد هذا الكلام هوى فى نفس الملك الطماع ، وهز رأسه مثنيا على هذا الوزير الذى يفكر دائما فى اسعاده . فأمر الصياد ببناء عرش من الذهب فى هذه الليلة .

لا تسل عن حزن الصياد وتعاسته . ولكن لا حول ولا قوة وما باليد حيلة ، فرجع مكتئبا حزينا حتى وصل الى تلك الشجرة الكبيرة . وقد اخذ منه التعب والاعياء كل مأخذ فجلس وغلبه النوم بسرعة .

ومرة اخرى ظهر العجوز امامه وقال :

– بعد ان تعود اليك القوة تقطع غصنا من هذه الشجرة تصنع به عكازا . . سيكون عكازا سحريا يساعدك على تحقيق كل ما تشتهيه . ثم اذهب الى بطون الجبال ، حيث مستودع ذهب فى كهف يحرسه تنين متوحش . وعندما ينام التنين تدخل الكهف وتفتح المستودع وتأخذ منه قطعة . واذا ما ضربت قطعة الذهب بالعكاز تحولت الى عرش من ذهب على الفور .

وتلاشى كل اثر للعجوز قبل ان يفيق الصياد من نومه .

فعل الصياد حسب ما قاله العجوز وحصل على قطعة ذهب من المستودع . ورجع ادراجه الى شاطئ البحيرة امام القصر ، ووضع قطعة الذهب على الارض ونقر عليها بالعكاز فاذا بعرش من الذهب يظهر على الشاطئ .

وانبلج الصبح . . وجاء الصياد الى الملك ينبئه بأنه قد نفذ ما أمر به .

ولما رأى الملك والوزراء عرش الذهب المرصع باللآلئ والمشع تحت اشعة الشمس اخذتهم الدهشة .

وقال كبير الوزراء :

– ان هذا الصياد الشاب ، يا صاحب الجلالة ، قد ادى ، ثلاث مرات ، المهام التى طلبتها جلالتكم ، والآن لنطلب منه ان يحقق آخر مطلب لكم ! ففى مكان بعيد تقع مدينة كبيرة فيها ملك مثلكم له ابنة جمالها يفوق الوصف . . يحول الليل الحالك الى نهار ساطع . واذا احضرها لتكون زوجة لكم فذلك يضفى على قصركم فخامة وروعة . وكى نضمن هذا ، علينا ان نقبض اولا

على ام الصياد كى ينفذ المهمة ، واذا انجزها اغدقنا عليه ما فى نفسه ، والا اهلكناه وامه .

وهز الملك رأسه ووافق على رأى كبير الوزراء .

وبعثوا جماعة من الحجاب لاحضار ام الصياد .

وخرج الصياد من القصر ووصل الى نفس الشجرة الكبيرة وراح فى نوم عميق .

ولاح امام عينيه العجوز نفسه وقال :

— اقطع اربعة اغصان واقطف اربع بذرات من هذه الشجرة ، ثم انقر الارض بالعكاز . عندئذ يمكنك ان تصل الى تلك المدينة الكبيرة فى سهولة ويسر . وبعد ذلك تطلب يد الاميرة . ولكن اباها سيطلب منك ان تبنى على نهر عريض جسرا طويلا بلا دعائم وحديقة كبيرة عند طرف الجسر ، مقابل زواج ابنته . وعندئذ عليك ان تنقر الارض بالعكاز وتقول : " ارجو ان تتحقق رغبة الملك فى بناء جسر طويل ! " فيظهر الجسر حالا على النهر . ثم تغرس الاغصان الاربعة فى جانب الجسر وتقول : " ارجو ان تتحقق رغبة الملك فى بناء حديقة جميلة مليئة بالاشجار الدائمة الخضرة والازهار الفواحة والطيور المغردة طوال الفصول الاربعة ! " فتلوح امامك الحديقة فورا . وبعد ذلك يوافق الملك على تزويجك بابنته . وعلاوة على هذا ستقام حفلة الزفاف اربعين يوما يطلب فيها الملك منك ان تنهى مرة واحدة اكل الاطعمة والاطباق من الخضروات التى تكفى اربعين شابا . وعندئذ ترمى البذرات الاربع الى داخل الطعام والاطباق .

استيقظ الصياد وكالعادة لم يجد للعجوز اثرا . قطع اربعة اغصان وقطف اربع بذرات من الشجرة ، ثم نقر الارض بعكازه ، وفى لمح البصر وصل الى ضاحية مدينة كبيرة .

رأى الصياد بيتا ليس بعيدا عنه فدخله . وكان بداخله عجوز وزوجه فبادراه بالقول :

ــ من اين جئت يا ولدى ؟ والى اين انت ذاهب ؟

فأجاب :

ــ ايها الجدان المحترمان ! انى هائم على وجهى . فهل تقبلانى ابنا اساعدكما فى حياتكما ؟

سر العجوزان سرورا عظيما اذ ليس لهما ابن ولا بنت . فتبنياه .

اقام الصياد فى بيت العجوزين عدة ايام . وفى مساء يوم ، خرج الى الشارع وسأل مواطنا من اهل المدينة . فعرف انه قد وصل الى المدينة المنشودة .

وفى صباح اليوم التالى توسل الصياد الى العجوزين قائلا :

ــ هل تسمحان بأن تذهبا الى الملك ، وتطلبا منه يد ابنته لى !

وقع عليهما السؤال وقع الصاعقة وقالا :

ــ كيف نجرؤ ، ونحن فقراء ، على طلب يد ابنة الملك ؟

وامام الحاح الصياد والحافه وافق العجوزان على مطلبه علهما يحققان رغبته .

وصل العجوزان الى بوابة القصر ، وتردد فى الدخول ، وتظاهرا بأنهما يكنسان الارض . فى ذلك الوقت خرج من القصر وزير

سألهما عما يريدان . ثم عاد ادراجه الى داخل القصر بسرعة ليخبر الملك فقال :

— حضر الى امام بوابة القصر عجوزان يريدان ان يخطبا الاميرة !

ارسل الملك فى طلب العجوزين وسألهما :

— هل جئتما تطلبان يد ابنتى لابنكما ؟

فردا عليه :

— نعم .

فقال الملك :

— أتستطيعان تقديم المهر الذى اطلبه ؟

فقالا :

— اسمعنا اولا ما هو ؟

فقال :

— لو اراد ابنكما ان يتزوج ابنتى فلا بد من ان يبنى على النهر العريض خارج المدينة جسرا بلا دعائم وحديقة كبيرة فى طرف الجسر فى ليلة اليوم .

ارتعدت فرائص العجوزين بعد سماعهما هذا الكلام حتى لم يقدرا على النطق . وعادا الى البيت واخبرا ابنهما بما قاله الملك . وطيب الصياد خاطرهما وقال :

— لا تقلقا يا والدى العزيزين ! هدئا من روعكما ، وناما قريرى العين !

وعندما تأكد الصياد من ان العجوزين مستغرقان فى النوم خرج

من البيت ووصل الى ضفة النهر ، ونقر الارض بعكازه السحرى وقال :

– ارجو ان تتحقق رغبة الملك فى بناء جسر بلا دعائم على النهر !

وفى الحال امتد جسر طويل من ضفة النهر الى الاخرى . ثم جاء الى جانب الجسر وغرس الاغصان الاربعة فى الاركان الاربعة للحديقة التى ستظهر ، ونقر الارض بالعكاز وقال :

– ارجو ان تتحقق رغبة الملك فى بناء اجمل واكبر حديقة فى الدنيا !

وما كاد ينتهى من قوله حتى ظهرت فى طرف الجسر حديقة فيها الاشجار الباسقة واشجار الفواكه المثقلة بالثمار والازهار المتفتحة والطيور الصادحة .

فى الصباح ، حكى الصياد للعجوزين بما حدث فى الليل . وطلب منهما ان يذهبا الى الملك .

جاء الملك والوزراء الى ضفة النهر فوجدوا الجسر والحديقة المطلوبتين . وعاد الملك الى القصر راضيا وثملا من الفرحة .

وفى اليوم التالى اقيمت حفلة الزفاف ، وقد مدت امام العريس موائد عامرة بما لذ وطاب من شهى الطعام الذى يكفى اربعين شابا . وطلب الى العريس ان يأتى على الطعام جميعه وحده . كان العريس رابط الجأش ، ووضع خلسة البذرات الاربع فى الاطعمة ، وفجأة ظهر اربعون شابا لا يراهم الناس ، ابتلعوا كل الطعام فى لحظة ، ولم تبق فى الموائد ولو حبة واحدة من ارز .

واقيمت الافراح والليالى الملاح اربعين يوما كاملة . وحكى

العريس للاميرة كل ما جرى له فى مملكته . فأشفقت عليه . وتشاوروا فيما سيفعلانه فى قادم الايام . ثم ودعا الملك عائدين الى بيت العريس .

وركبا حصانين مجنحين طارا بهما بسرعة البرق الى مدينة العريس .

وطلب الصياد فى اليوم التالى من زوجته ان تذهب الى القصر لمقابلة الملك . فقالت :

ـ لقد حققت كثيرا من رغبات هذا الملك الطماع . فلماذا لم يمكنه ان يحضر بنفسه الينا ؟ اذهب وقل له انى قد أتيت . وانى ارغب ان اشاهد معه معالم المدينة ثم اكون محظية له .

جاء الصياد الى القصر وقال للملك انه ادى رسالته التى كلف بها ، واحضر الاميرة الجميلة . كما اخبر الملك بما تريده الأميرة .

وخرج الملك والوزراء من القصر . وعندما دنا الملك من الاميرة ورفع الخمار عن وجهها صعقه جمالها الساحر ، وبهره بهاؤها العظيم .

واصطحب الملك الاميرة فى داخل المدينة وخارجها ، ووصل مع وزرائه الى سفح جبل من غير ان يدروا . وكان كبير الوزراء ملازما للملك والاميرة لا يفارقهما ولو خطوة واحدة ولا يترك اى فرصة الا ويتملقهما . ووصلوا ، اخيرا ، الى اسفل شجرة كبيرة .

فقالت الاميرة :

ـ يا شجرة ! امسكى بهذا الرجل الطماع ! يا شجرة !

امسكى بهذا الرجل المتملق ! ليموتا على اغصانك ! لا تطلقى سبيلهما حتى يموتا شر ميتة !

ومع انتهاء كلام الاميرة انزلت الشجرة غصنين من اغصانها . . شد احدهما الملك وشد الآخر كبير الوزراء . ثم ارتفعا . . فتعلق الملك وكبير الوزراء على الغصنين ، ولفظ كل منهما الروح .

عادت الاميرة مع الصياد الشاب الى المدينة .

وتوج الصياد ملكا على المملكة ، وبدأ يعيش مع زوجته الجميلة وامه العجوز فى سعادة وهناء ٥

عائشة

(حكاية قازاقية)

كان فى قديم الزمان ، عجوز فقير يعيش مع ابنة له تسمى عائشة فى المروج ، ولم يكن بحوزتهما سوى بقرة عجوز جفت ضروعها .

وفى يوم من الايام ، كان والد عائشة يركب على عربة تجرها البقرة ، محملة بالحطب فى طريقها الى السوق . كان يريد ان يشترى بثمن الحطب ما يسد به الرمق . وفيما العربة تمشى الهوينى اعترضها تاجر له كرش منفوخ . كأنه طبل متدل من امامه . والقى نظرة على الحطب ، ثم تفرس فى وجه والد عائشة وسأله :

– هل الحطب للبيع يا عجوز ؟

– نعم يا سيدى ...

– كم الثمن ؟

– خمسة دنانير .

– الكل بخمسة دنانير ؟

لم يدرك العجوز الطيب ان التاجر يحتال عليه ، وما كلامه الا خدعة فرد مبتسما :

– طبعا ! الكل فى الكل ؛

ولما انتهى العجوز من كلامه ، نادى التاجر على الناس من حولهما ليشهدوا على البيع والشراء : وقال :

– ايها السادة ! ها انكم قد سمعتم ، انه يبيع كل ما يملكه من البضائع فى مقابل خمسة دنانير :

وما ان رد الشهود بهزة من رؤوسهم ، حتى طلب التاجر الى العجوز ان يسوق البقرة الى فناء داره . وبينما كان العجوز يحاول ان ينزل الحطب من العربة ، اخرج التاجر من جيبه خمسة دنانير وقال :

– خذ يا عجوز الخمسة دنانير . عد الآن الى بيتك . لا داعى ان تنزل الحمل . سأجد من يقوم بهذه المهمة غيرك .

لم يفهم العجوز كلامه ، فحدق فيه منذهلا . ولكن التاجر قال ضاحكا :

– اما بعت كل شيء ؟ . هذا يضم الحطب والعربة والحبل والفأس والبقرة . . .

استاء العجوز من جوابه وتعكر صفوه ، وضرب الارض بقدمه فى عنف وقال له بحنق :

– على عينك يا تاجر ! لا . . لن ابيع !

ولم يكد ينتهى العجوز من كلامه حتى اخذ بمقود بقرته محاولا ان يعود الى بيته .

وما كان التاجر الا ان ظهر على حقيقته ، فخطف رسن البقرة منه وقال :

– ماذا تقول يا عجوز . . هل انت نادم ؟ قد اتفقنا على

هذا قبل قليل . كيف تتراجع فى كلامك ؟! . . عندى شهود كثيرون . ان كنت تنكر ذلك فلنذهب الى القاضى ليحكم بيننا .

عرف العجوز انه انسان ضعيف ، ولا فائدة ترجى من الذهاب الى القاضى فالتاجر لديه الشهود . وعاد الى بيته كسيف البال ، كسير الخاطر ، وشكا حاله لابنته عائشة وما جرى له مع التاجر . وما كان من البنت الا ان طيبت خاطر والدها وواسته تقول :

ــ لا تحزن يا ابى ! غدا سنستعير بقرة جارنا ونحمل على ظهرها حطبا ونقصد السوق لنرى ذلك التاجر المخادع . واذا سألك عن شيء فقل له ان هذا الحطب لى انا واطلب منه ان يتحدث معى .

وفى اليوم التالى ، خرج العجوز يسوق بقرة جاره الى السوق . وعندما رآه التاجر ساورته آماله ان يحصل على صفقة رابحة مثل الامس . فضحك ملء قلبه ، وسأله :

ــ هل الحطب للبيع يا عجوز ؟

ــ هذه البقرة ملك لهذه الفتاة . . تحدث معها ان شئت !

كانت الفتاة قريبة من ربيعها العاشر . فرمقها التاجر بنظرات حانية وسألها بكثير من الاستخفاف وعدم الاهتمام :

ــ هل تبيعين يا فتاة ؟

ــ نعم . . يا سيدى !

ــ كم الثمن ؟

ــ خمسة دنانير .

ــ الكل ؟

ــ طبعا الكل !

ولم تكد تفرغ من كلامها حتى صاح التاجر على الشهود وقال :

— كل شيء ، هل تسمعون " الكل " ؟ والثمن خمسة دنانير !

بعد ان سمع التاجر جواب الشهود ، امر العجوز ان يسوق البقرة الى فناء داره . حينئذ قالت عائشة للتاجر :

— خمسة دنانير ستقدمها لى بيدك ؟

— طبعا ! سأقدم لك بيدى .

ولما انتهى التاجر من كلامه صاحت عائشة ايضا على الشهود بصوت عال :

— ايها السادة جميعا .. هل تسمعون ؟ هذا التاجر سيقدم لى بيده .

لم يفهم الشهود شيئا مما قالت ، حتى التجار الذين زعموا انهم من النبهاء ايضا . كانوا يريدون معرفة مقدرتها على التعامل مع التاجر فأجابوا بصوت واحد :

— لقد سمعنا !

سيقت البقرة الى فناء التاجر الذى اكتظ بالناس . وقتئذ اخذ التاجر من جيبه خمسة دنانير ومد يده الى عائشة . وفجأة امسكت برسغ يده ورفعت فأسها لتقطع يده . فامتقع لونه من الفزع اذ استولى عليه احساس بالخوف وصاح على الفور :

— ماذا تريدين يا فتاة ؟

— ألم تقل لى انك ستقدم لى النقود بيدك ؟ لقد اتفقنا على هذا قبل قليل . فكيف تتراجع عن كلامك ؟ اعتقد انه لخسارة ان اترك لك حطبى كله للحصول على يدك الوسخة .



وقع كل شيء في سرعة ، والشهود ما زالوا حضورا . وقال التاجر لنفسه : اذا ذهبنا الى القاضي فلن آخذ منها لا حق ولا باطل ! ووافق على ان يشترى يده بألف دينار .

" اراد ان يسرق فوقع في مصيدة الذئب . . " لقد فقد التاجر الف دينار بلا جدوى ، فأحس بالضيق والغضب ، لذلك راح يفكر بالثأر منها طول النهار . يومئذ لاحت له حيلة . ثم ما لبث ان ذهب الى بيت عائشة وقال لها :

ـ لنذهب الى القاضي ونقص عليه حكايات . ومن منا يعتقد الآخر كاذبا فعليه ان يغرم الف دينار . ومن منا يعتقد الآخر صادقا في قوله فعليه ان يقدم الدليل . فما رأيك ؟

ووافقته عائشة ان تذهب معه الى القاضى .

وسرى النبأ فى القرية سريان البرق . فتجمع الناس فى دار القاضى ليشهدوا هذا الشيء الغريب المحير للعقول . وكان التاجر اول من بدأ الكلام .

— بذرت خمسة كلوغرامات من القمح . كان قمحا صافيا ليس مختلطا ببذور اخرى . وعندما حصدت وجمعته رأيت فى كل حزمة حملا صغيرا . ولما نقلت القمح الى البيدر وذريته وجدت حملا صغيرا فى كل حبة قمح . ولما اخذت الحبوب الى المطحن رأيت الحملان تخرج من الطاحون وتجرى وتثغو هنا وهناك .

وهز المشاهدون رؤوسهم وقالوا ليس هذا الكلام بالصحيح . ولكن القاضى سأل عائشة عن رأيها فقالت :

— كل كلمة قالها صحيحة ! فاذا انتقيت حبوب القمح فان القمح ينمو نقيا . وتكون اكوام القمح المحصود فى الخريف مكتنزة مثل الحملان الصغيرة . تصبح كل حبة حملا ايضا .. وعندما تطحن فان كل الحملان تثغو .

كان كلامها منطقيا ، ولم يستطع اى من التاجر ولا القاضى ان يجادل فيه . وجاء دور عائشة فى الكلام فقالت :

— عمى يعمل دليلا لقوافل التجار . وفى ذات يوم ، كان يقود قافلة من ستمائة جمل فى الصحراء واذا بجماعة من قطاع الطرق الاوغاد قطعوا عليهم الطريق وسلبوا كل ما تحمل القافلة وقتلوا عددا من الابرياء من عابرى السبيل . بالأمس اخبرنى



عمى انك كنت زعيم اللصوص القتلة ! فما رأيك يا تاجر ! هل اقول الصدق ام الكذب ؟

ولم تكد تتم اقوالها حتى زعق المشاهدون بملء حناجرهم ، فتملك الهلع والفزع قلب التاجر فوقع على الارض مغشيا عليه . ولما عاد اليه وعيه اخذ المشاهدون يلحون عليه :

– تكلم بسرعة ايها اللص الشرير !

وقال له القاضى :

– قل لى يا تاجر ! هل قالت الحقيقة ام كذبت ؟

وعرف التاجر انه اذا قال ان كلامها حق فانه سيواجه الموت فضلا عن رد قيمة حمولة الجمال . واذا قال انها تكذب فسيفقد

الف دينار اخرى . ووقع فى شر اعماله ! واخذ الجمهور يضغطون عليه لما رأوه مترددا . لم يكن امامه من مخرج : وقال فى صوت واهف :

– هى .. هى تكذب .. تكذب !

وهكذا انتصرت عائشة مرة اخرى على هذا التاجر الذى اعماه الجشع .

الثعبان السحرى
(حكاية ويغورية)

كان فى سالف الأوان عجوز يدعى باتور ، له حفيد صغير يدعى طوسون مات والداه وهو صغير . ونشأ الحفيد وترعرع برعاية جده باتور . وخلع الناس على طوسون لقب " الساذج الصغير " لأنه اشتهر بتصرفاته الهوجاء والثرثرة مما سبب لجده كثيرا من المزعجات : وكان يأخذ العود الذى يعزف عليه جده فيضرب به الثمار البرية . وكان هذا يقلق جده فخشى ان يقع فى ورطة ذات يوم . وكان ينصحه فيقول :

— يا حفيدى الساذج الصغير ! اغرس كلماتى فى ذهنك : لا تتفوه بكل ما يدور فى رأسك ولا تأخذ كل ما تقع عليه عينك . لا تسر فى كل طريق يعترضك .

ذات يوم ، عاد طوسون من السوق وكان الوقت متأخرا ، فسلك دربا قصيرا يؤدى الى البيت بسرعة . وبينما هو على حماره فى ذلك الدرب اذا صندوق صغير يعترض طريقه . فنزل عن الحمار ليبعد الصندوق عن طريقه . ولما اقترب منه وجده جميلا ومرصعا بالذهب والفضة ! وكان الصندوق مقفولا ومفتاحه متروك بجانبه . فحمل الصندوق على ظهر حماره واستأنف السير ، وفجأة تذكر

نصيحة جده : "لا تسر فى كل طريق يعترضك ." فقفل راجعا الى الطريق الكبير .

وفى الطريق لمح حماره شجرة توت فتوقف واخذ يأكل من ثمارها . فاضطر طوسون الى الوقوف حتى ينتهى الحمار من الاكل . وفى هذه الاثناء امعن النظر فى الصندوق وقال لنفسه : لا بد ان فيه شيئا نفيسا . فلأفتحه وارى ما فيه . ففتحه فلم يجد لشدة دهشته فيه الا دودة صغيرة لونها اصفر ذهبى وحجمها بقدر طرف الابرة . فقال للدودة :

— اننى سأرحمك ايتها الدودة الصغيرة واطلق سراحك ؛

ثم رمى الدودة على الارض .

زحفت الدودة الصغيرة ببطء الى وسط الطريق ورفعت رأسها وادارت جسمها نحو اليسار اربع دورات ثم الى اليمين اربع دورات ايضا وفجأة تحولت الى ثعبان ضخم طويل ينبعث من عينيه نور مخيف وتقدم من طوسون محاولا التهامه . فقال طوسون مذعورا :

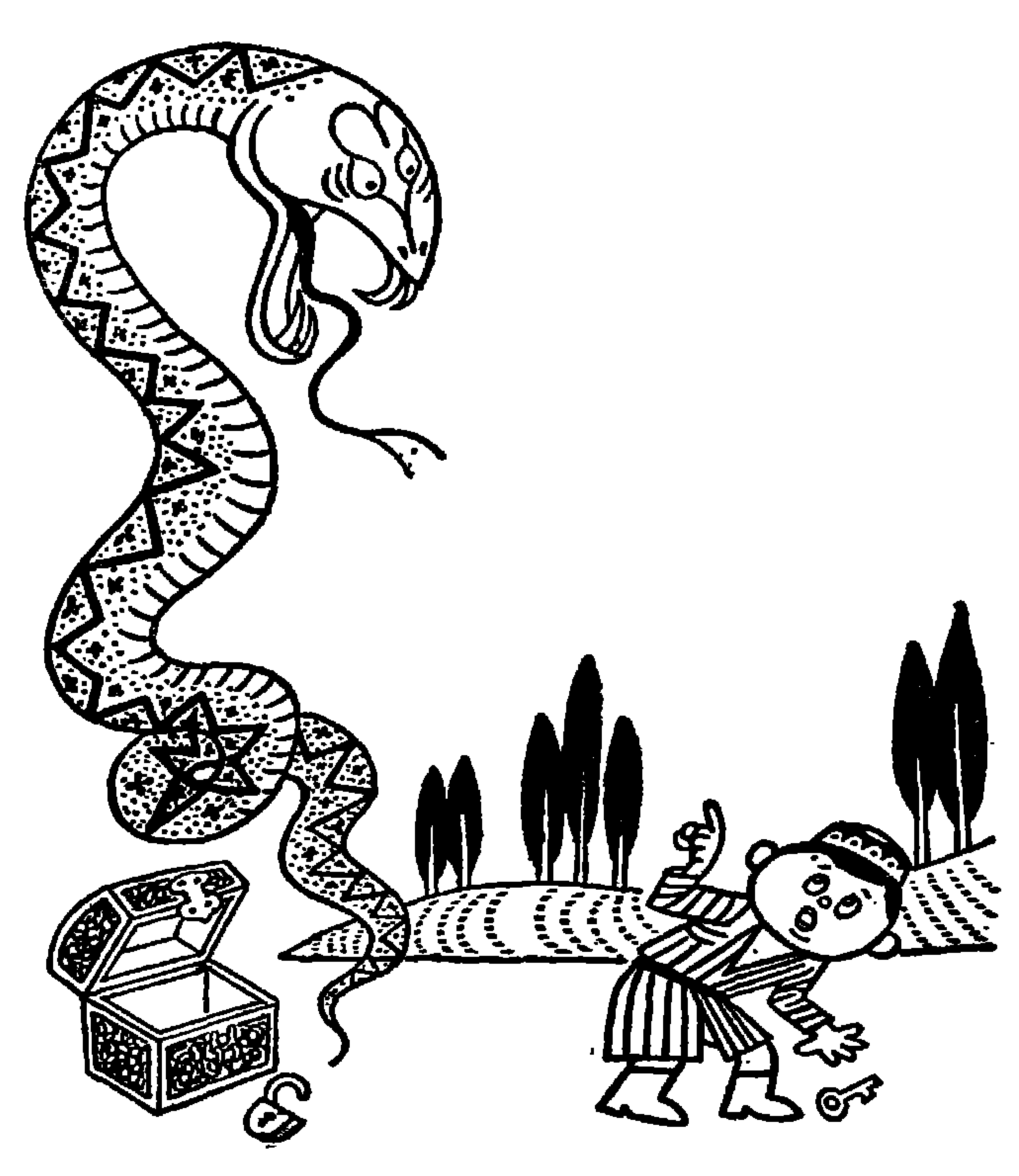
— انت مخلوق بلا ضمير . كنت دودة صغيرة مثل طرف الابرة فاشفقت عليك واطلقت سراحك حتى تتشمس وتتنفس الهواء النقى . ولكنك الآن صرت ثعبانا ضخما وتحاول ان تأكلنى .

وقال الثعبان :

— يا غبى ! انا متخصص فى اكل الذين ينقذوننى . اريد الآن ان آكلك لأنى جائع .

وقال طوسون فى فزع :

— ماذا ؟ ما هذا الكلام ! دعنا نبحث عن انسان يحكم



بيننا حتى نعرف من منا على حق : واذا كان الحق معك فكلنى .

كان الطريق خاليا والظلام على وشك الحلول . فقال الثعبان الضخم متغطرسا :

– يا غبى ! اين تجد انسانا يحكم بيننا ، سآكلك ان عاجلا ام آجلا . ومن الخير ان آكلك عاجلا لأخلصك من العذاب .

فقال طوسون وقد تملكه اليأس :

– دع شجرة التوت تحكم بيننا ان لم نجد انسانا .

واجابه الثعبان الضخم :

– طيب ! موافق .

اقترب طوسون من شجرة التوت وحياها باحترام وقال لها كسير الخاطر :

– يا عمتى التوتة ! تفضلى وانطقى بكلمة حق ! كان هو دودة صغيرة مثل طرف الابرة فاشفقت عليه واطلقت سراحه . والآن صار ثعبانا ضخما ويحاول اكلى . فهل عنده ضمير ؟

فنطقت التوتة وقالت :

– انت مخطئ ايها الساذج الصغير . يقول المثل : الاخيار لا يعمرون ! اضرب لك مثلا : انى اعطى كل سنة للناس كثيرا من الاوراق لتربية دودة القز مع الثمار اللذيذة يتناولونها ، غير ان الناس يضربون رأسى دائما بالعصا . ايه ! ليس فى العالم من يتصرف وفقا لضميره . انت تقول بأنك اردت انقاذه ، اذن فاسمح له راضيا بأن يلتهمك .

وفرح الثعبان وقال :

– ها ! ها ! ها ! لقد خسرت .

ثم فتح عينيه الحمراوين وفغر فمه الدموى وقال متخابثا :

– يا غبى ! أ سمعت كلام السيدة التوتة ؟ لقد انقذتنى فيجب ان آكلك ...

وتراجع طوسون مذعورا وقال متمتما :

ـ لا . . . لا تستعجل ! التوتة شجرة وليست انسانا . . . .
لـ . . . نبحث . . . عن انسان يحكم بيننا .

فقالت التوتة :

ـ طيب ، لا تستعجل يا اخى الثعبان . ستأكل هذا الغبى عاجلا ام آجلا . اعطه فرصة ثانية للاحتكام .

واجاب الثعبان فى خيلاء :

ـ سأعطيك فرصة اخرى . اذ لا يمكنني العثور على غبى مثلك .

وفى هذه الاثناء جاء جده باتور متكئا على عكازه ويحضن عوده الى صدره ولما رأى حفيده صاح من بعيد :

ـ يا حفيدى العزيز ! تأخرت كثيرا . لماذا لم تعد الى البيت والظلام على وشك الحلول ؟

ما ان لمح طوسون جده حتى ازداد قوة فصاح بصوت عال :

ـ جدى ! يا جدى ! النجدة يا جدى !

ـ ماذا حدث يا طوسون ؟

اسرع باتور الى حفيده مذعورا . فأخبره طوسون بحكايته فقال الجد محدقا فى الثعبان :

ـ لم يقل احدكما كلاما صادقا .

فقال طوسون مذهولا :

ـ ألا تصدق كلامى يا جدى ؟

ـ يا حفيدى الساذج . لقد قلت ان هذا الثعبان الضخم تحول من دودة صغيرة . هذا مستحيل .

ثم ادار وجهه الى الثعبان الضخم قائلا :

ـ قل لى ايها الثعبان : كيف تحولت الى هذا الشكل من دودة صغيرة ؟

فقال الثعبان :

ـ كنت دودة صغيرة داخل هذا الصندوق الصغير منذ زمان . وقد اشفق على واطلق سراحى . وحين رأيت الشمس وتنفست الهواء النقى صرت ثعبانا ضخما . وقد قال انه يريدنى ان اعيش . ولكن كيف اعيش وبطنى خاو ؟ ليس عندى طعام فلا يسعنى ، والحالة هذا الا ان آكل هذا الانسان الرحيم .

وصاح الجد غاضبا :

ـ انت كاذب ! لقد سألتك عن كيفية تحولك من دودة صغيرة الى ثعبان ضخم . هذا شيء مستحيل . ادخل الصندوق لأرى كيف تتم عملية التحول . فلا اصدق الا بعد ما أرى ذلك بعينى .

فرفع الثعبان الضخم رأسه وادار جسمه الى اليسار اربع دورات ونحو اليمين اربع دورات حتى صار دودة صغيرة مثل طرف الابرة وزحف الى الصندوق . حينئذ اومأ الجد بعكازه الى القفل المتروك على الارض . ففطن طوسون هذه المرة الى الحيلة وقال لنفسه : ربما طلب الجد منى ان اقفل الصندوق . فالتقط القفل بسرعة واقفله .

حفظ طوسون فى هذه المرة نصائح الجد . وجر حماره ليساعد جده على الركوب ثم مشى وراءهما . وحينما وجد العجوز باتور حفيده قد صار ذكيا اخذ يعزف على عوده واخذ طوسون يشدو :

اثمن الاشياء فى الدنيا ثلاثة .
معطف الفرو وقرص الخبز والنعل الملبد
لكن المعروف اغلى ثمنا من كل شئ
فهو لا يمكن بيعه
وهو لا يمكن ان يسدى جزافا .
احذر الشيطان ولا ترحمه مهما
ظهر الشيطان فى مظهر رفق او دماثة .

الزوجة الامينة الذكية

(حكاية ويغورية)

يحكى انه كان فى قديم الزمان ، شاب يعيش فى ضاحية مدينة كبيرة ، وكل ما يملكه من الدنيا ثلاثة كوخ اسمل الدهر عليه وشرب وكان يعيش من بيع الحلوى .

ومضى الوقت مثل مياه النهر . . يوما بعد يوم وشهرا بعد شهر وسنة بعد سنة . وكما يقول المثل : الوقت كالماء الجارى يمضى ولا يعود . بلغ الشاب التاسعة عشرة من عمره . ذات يوم قال لنفسه : يتقدم بى الزمن عاما وراء عام ، ويصعب على الزواج اذ اننى فقير ولا سيما ان الوقت وقت شدائد ومحن !

ولكن الحياة مليئة بالمفاجآت غير المتوقعة . كان قد تجمع فى يد الفتى من بيع الحلوى مال يكفيه للمعيشة والزواج . فبحث لنفسه عن زوجة وعاشا سوية على الحلوة والمرة .

كانت زوجته بهية الطلعة تفوق القمر حسنا وجمالا بعينيها السوداوين ، وتفوق الشمس بثغرها الصغير حتى قال الناس عنها : لو كان فى العالم حسناوان لكانت هى احداهما . ولو كان فيه حسناء واحدة لكانت هى بالذات .

وظل الفقير يبيع الحلاوة بعد الزواج . ومع ان حياتهما كانت

بائسة الا ان زوجته لم تبال بذلك بل كانت تعتنى به كثيرا حتى غبطهما الجيران على هذا الحب والانسجام .

ذات يوم ، خرج وزير الامبراطور من المدينة لأمر ما ، ومر ببيت الفقير ، فلمح زوجته الحسناء وبهره كلامها الذى كان يتدفق من فمها كالرحيق ، وشفتاها الحمراوان يشبهان الحجر الكريم ، فعاد على الفور الى المدينة وقال للامبراطور :

— مولاى ! لقد رأيت بعينى زوجة رجل فقير ذات جمال باهر لا يوصف ! ان امرأة كهذه ليست جديرة الا بمولاى العظيم . يحزننى تماما ان تقع هذه القطعة الشهية من لحم الضأن فى فم رجل فقير !

لما سمع الامبراطور ذلك أمر جنوده بأن يجلبوا زوجة الفقير الى قصره . وعندما رآها فتن بها فعلا . فأراد الزواج منها قسرا ووعدها بأن يعطيها كل ما تريد وتشتهى . ولكن زوجة الفقير ظلت واجمة لم تنبس ببنت شفة .

وتطلعت الى لحية الامبراطور فرأتها تشبه عشبا صحراويا رعته الابل ، والى رأسه فلم تر الا شعيرات بيضاء متناثرة هنا وهناك ، وبدت لها عيناه مثل نقرتين غائرتين فى التراب . اما اسنانه، فلم يتبق منها الا سنان متخلخلان يوشكان على السقوط . فاشمأزت من منظره هذا القبيح الذى يقزز النفس .

وحاول الامبراطور ان يستميلها ففتح فمه عن ابتسامة بلهاء وقال لها :

ـ ها ! ها ! ها ! لم لست سعيدة وانت قد دخلت الجنة ؟ هل عندك شيء ؟

واجابته زوجة الفقير بوجه عابس متجهم :

ـ نعم .

فرد عليها الامبراطرر :

ـ طيب ! سأخصص لك غرفة تقيمين فيها وحدك مؤقتا ليتسنى لك وتفكرى فى الامر . وسوف ابعث لك بمن يقوم على خدمتك .

ثم امر الخادمات ان يوصلنها الى الغرفة .

اقامت زوجة الفقير فى الغرفة وهى تنشج وتتهدج من الاشتياق الى زوجها .

وجاء زوجها الفقير يوما الى قصر الامبراطور يحمل طبق الحلوى واخذ ينادى بصوت عال :

ـ حلوى ! حلوى !

ولما سمعته زوجته مدت عنقها من النافذة فرأته . فشهقت من الفرح وراحت تقهقه مسرورة به .

فذهبت خادماتها واخبرن الامبراطور بما حدث .

امر الامبراطور احد الحراس بأن يحضر البائع الى القصر وامره ان يخلع ملابسه فلبسها الامبراطور واعطاه ملابسه الامبراطورية ثم حمل طبق الحلوى وأخذ يصيح : " حلوى ! حلوى ! " ودخل الى غرفة الفتاة .



عندما رأته الفتاة فهمت نيلته ولمعت فى ذهنها فكرة فأمرت الحرس قائلة :

ــ اسرعوا بقتل هذا الوغد الذى تجرأ على دخول غرفتى . ولما رأى الامبراطور ذلك حاول ان يشرح الحقيقة للحارس . بيد ان الحارس قتله قبل ان يتفوه بكلمة واحدة .

وذهبت زوجة الفقير الى القصر ووجدت زوجها فى ملابس الامبراطور فأجلسته على العرش .

فى البداية لم يكتشف احد ما جرى . ومع مرور الايام ، عرف الجميع قصة امبراطورهم ، ولكنهم رضوا بالامبراطور الجديد لأنه ادار شؤون البلاد بعدالة وخدم الشعب باخلاص .

السمكة الذهبية

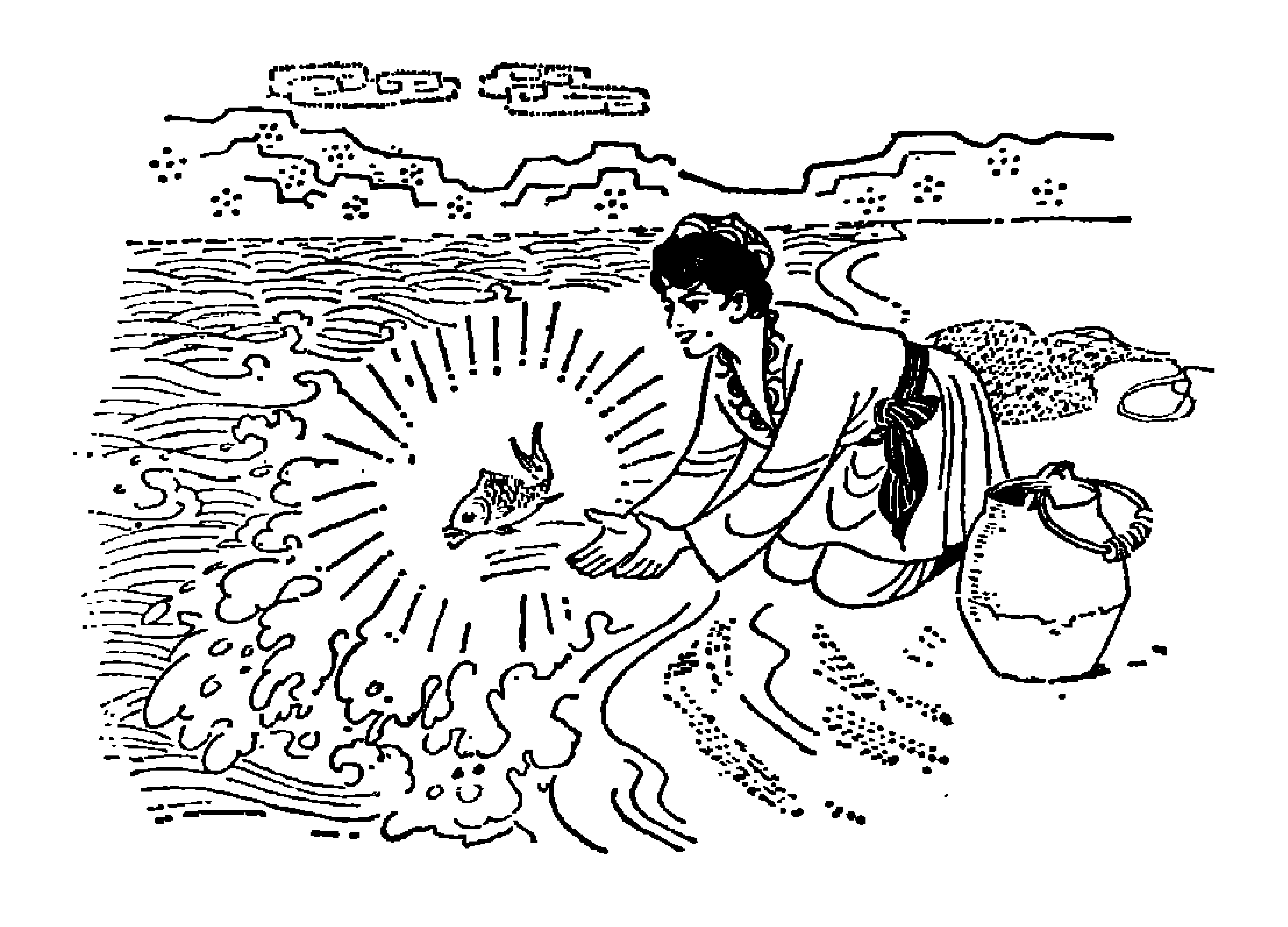
(حكاية ويغورية)

يحكى انه كان فى قديم الزمان رجل يعيل اهله من صيد الاسماك . وذات يوم ، صاد سمكة ذهبية افلتت من يديه بعد ان رفعها من الشبكة ، وقفزت بسرعة الى النهر ، فعاد الى اهله حزينا مهموما لا تبارح صورة هذه السمكة الذهبية خياله .

وظل الصياد يتردد يوميا الى ذلك النهر كعادته . وكان حظه فى الصيد كثيرا ولكنه لم ير اثرا لتلك السمكة الذهبية . ومضت ثلاثة اعوام على هذه الحال وكانت حصيلته غير قليل من المال وتحسنت احواله وصار يعيش عيشة جيدة . ثم اعتزل صيد السمك وافتتح دكانا لبيع الاقمشة . ومع ذلك لم ينس تلك السمكة الذهبية البراقة .

وتوفيت زوجة التاجر فتزوج بامرأة كان لديها ولد من زوج آخر . فى البداية كان التاجر يحب هذا الولد ، ولكن مع مرور الايام تغيرت عواطفه نحوه وبدأ يحس ان هذا الولد ليس من صلبه فنمت الكراهية فى قلبه تجاهه . وكان هذا التاجر يتغيب احيانا عن البيت نظر لانشغاله كثيرا بالتجارة فى الخارج .

ذات يوم ، رأى الصبى أناسا يصطادون السمك فى النهر



فتذكر ان فى بيته شبكة فعاد الى البيت مهرولا وقال لأمه :

ــ اريد الشبكة يا امى ، اصطاد بها السمك فى النهر !

فقالت امه بلطف :

ــ انت صغير السن واخاف عليك من النهر .

ولكن الولد الح عليها فنزلت على طلبه وسمحت له .

رمى الصبى شبكته فى النهر وجرها بعد قليل فلقى فيها سمكة ذهبية حملها بيديه ثم انطلق بها نحو بيته . وبعد ان قطع عشرين او ثلاثين خطوة لمعت فى ذهنه فكرة : أ ابيعها ام آكلها ؟ أمعن النظر فى السمكة وعز عليه ان يأخذها الى البيت : خسارة ! خسارة ان تؤكل هذه السمكة الذهبية الجميلة ! الافضل ان اطلق سراحها .

واستدار واعاد السمكة الى النهر . ثم رجع حاملا شبكته الفارغة الى البيت .

كان الاولاد الذين يلهون على شاطئ النهر قد رأوا ما فعله الصبى فاسرعوا الى دكان زوج امه واخبروه قائلين :

— يا عم ! ابنك صاد سمكة ذهبية واعادها الى النهر . لماذا فعل هذا ؟

لما سمع التاجر هذا الكلام انتفخت أوداجه غضبا وقال فى نفسه : لقد ظل الحلم يراودنى ثمانى سنوات بأن احوز هذه السمكة . . ولما وصلت اللقمة الى الفم اعادها الى النهر . ماذا كان يضيره لو احضرها ؟ كنا نلنا من ورائها خيرا عميما ! وعاد ساخطا الى البيت واستل سيفا ثم امسك الصبى بيده وقال له :

— من طلب منك اعادة السمكة الى النهر ؟

انكمش الصبى خوفا ولم يستطع ان يقول كلمة واحدة . واشتد غضب التاجر وصاح وهو يضع سيفه على صدر الصبى :

— هذه السمكة الذهبية عندى اغلى من ولد مثلك !

اراد ان يقتله فضمت الام ابنها بين ذراعيها وهى تبكى وقالت :

— هل تريد ان تقتله من اجل سمكة ؟

وأخذت تتضرع اليه ان يتركه ولكنه لم يهدأ له بال . فقالت :

— لا يمكنك ان تقتله فى وضح النهار . الافضل ان تقتله فى الليل حتى لا يراك الناس .

فخرج التاجر بعد ما سمع كلامها وهو فى اشد حالات الغضب .

وانتحب الصبى وامه فترة ثم قالت له :

ـ اذهب يا ابنى . . انك لن تقدر على العيش مع املك !

وزودته بكيس من الخبز وأوصته قائلة :

ـ اذا التقيت شخصا فى الطريق واراد مصاحبتك فجربه اولا ، قل له انك تريد ان تقضى حاجتك فاذا انتظرك فاتخذه صاحبا لك . واذا رفض فلا تمش معه .

ثم ضمت الام ابنها الى صدرها وودعته .

سار الصبى بعض الوقت وحيدا . ثم صادف رجلا فى الطريق فسار معه نصف يوم ثم تذكر وصية امه فقال :

ـ ارجو ان تنتظرنى قليلا . اريد ان اقضى حاجة .

ولكن الرجل لم ينتظره ، وتركه ومشى . وقال الصبى فى نفسه : صدقت يا امى ! واستأنف السير وحيدا .

وفى الطريق صادفه رجل آخر فجربه بنفس الطريقة ولم يكن افضل حالا من الاول ومرت عليه ثلاثة ايام وهو يمشى وحيدا . وفى مساء اليوم الثالث رآه شاب قوى البنية كان يمشى عن يمينه . فاقترح عليه الشاب ان يسيرا معا . وبعد قليل سأله عن سبب خروجه والى اين هو ذاهب فأخبره قائلا :

ـ اراد والدى قتلى لأنى اعدت السمكة الذهبية الى النهر فطلبت امى منى الفرار . ولكنى لا اعرف الى اين اذهب ؟

فواساه الشاب قائلا :

ـ لا تحزن ! سنبقى معا مهما كانت الصعوبات . اننى سأعمل على مساعدتك .

تآخيا كأنهما شقيقان حميمان واستمرا فى السير ...
بعد يومين وصلا الى بلدة كان ملكها يحكم بالاعدام على كل من يأكل ولا يدفع ثمن الأكل . كانا لا يعرفان هذا الحكم . وبينما هما يسيران فى الشارع شاهدا كثيرا من الاطعمة الشهية يسيل لها اللعاب واخذ بطناهما يقرقران من الجوع : فقال الاخ الصغير للكبير :

– هل يمكننا ان نأكل وليس فى جيوبنا نقود ؟

فأجابه :

– لا بأس ! يمكننا ان نعمل عندهم لتسديد الثمن !

فدخلا الى مطعم وطلبا من صاحبه ان يحضر لهما شيئا من طعام التهماه التهام الذئاب الجائعة . وعندما طالبهما صاحب المطعم بالدفع قالا انهما لا يملكان شيئا وانهما مستعدان للعمل عنده لتسديد الثمن . فشكاهما الى الملك .

وامر الملك بالقبض على الشابين فجيء بهما امام الملك مشدودين بالحبال .

وسألهما الملك :

– لماذا لم تدفعا ثمن الطعام ؟

– نحن عابرا سبيل وليس لدينا نقود . اننا على استعداد للعمل عند صاحب المطعم لسداده .

فصاح الملك بهما :

– لقد اصدرت امرى بالحكم على كل من يأكل ولا يدفع بالاعدام ! خذوهما وعلقوهما .

فتقدم اليه الوزير قائلا :

– عندى اقتراح يا مولاى !

فقال الملك :

– وما هو ؟

– هذان الشابان قويا البنية وتبدو عليهما ملامح الشجاعة . وقد اختطفت عفريتة ابنتك منذ سبع سنوات . وقضت على كل من ارسلتهم لانقاذها . ارى ان ترسلهما فاذا نجحا فى انقاذ ابنتك قلدتهما منصب وزير وزوجت ابنتك بأحدهما ، واذا لم ينجحا قتلتهما . فما رأى صاحب الجلالة ؟

وافق الملك على هذا الرأى وامر باستدعائهما وقال :

– لقد اختطف العفريت ابنتى . واذا انقذتماها فسأكون سخيا فى مكافأتكما .

واجاب الشابان بثقة :

– نحن على اتم الاستعداد .

وقدم الملك لكل منهما سيفا وامر بتجهيز جوادين انطلقا بهما على الفور .

وبعد يومين ، اعترض طريقهما جبل شامخ . وكان فى القمة اجرف وصخور مستديرة كثيرة فربطا حصانيهما فى سفح الجبل وتسلقا نحو قمته . وفجأة سأل الاخ الكبير اخاه :

– هل ترى شيئا ؟

اجابه الاخ الصغير :

– غرفة ذهبية وعلى يمينها نهر ينتصب فوقه جسر كبير .

وقبل ان يتم كلامه واذا عفريتة حيزبون تقف فى مكان غير بعيد وتقول فى صلف وغرور :

– من انتما ؟ ماذا جاء بكما الى هنا ؟ ما هذه الجرأة ! هل تريدان ان تموتا ؟

ثم فتحت عينيها الكبيرتين مثل حجم الطاسة وانفرجت براطمها عن فم واسع يسيل منه لعاب طوله ثلاثة اذرع وتقدمت منهما لابتلاعهما فى مرة واحدة .

ولكن الشقيقين لم يخافا بل استلا سيفيهما . فقالت العفريتة :

– ليس بمقدوركما ان تخلصا الأميرة حتى ولو جاء مائة بل الف رجل . لقد ارسل الملك الآلاف والمئات من الجنود الى هنا . فتسلخت جلودهم وتطايرت عظامهم فى الهواء . . كل ذلك من زفرة واحدة ، انظرا الى تحت اقدامكما تريا عظامهم مكدسة فوق بعض كأنها اهرامات . ارجعا والا قضيت عليكما بزفرة واحدة .

لم تنته العفريتة الحيزبون من كلامها حتى هوى الاخ الصغير بسيفه عليها فنفخت عليه نفخة جعلت سيفه يطير فى الجو . ولما رأى الاخ الكبير ذلك صاح قائلا :

– ابتعد عنها يا اخى ! انا الذى سأتولى امرها !

فقالت العفريتة بابتسامة صفراء :

– طيب ! تموت انت اولا !

واخذت نفسا لتتهيأ للنفخ فتدفق الهواء من فمها كالاعصار . فانطلق الشاب مع الاعصار وهو يسدد سيفه صوب حنجرتها .

وفى لمح البصر شق السيف رأسها الى فلقتين وتدفق الدم منها مثل السيل .

انتصر الشقيقان . واتجها الى شاطئ النهر لينظفا جسميهما وسيفيهما من الدم . فخرجت من الغرفة الذهبية فتاة جميلة فى يدها ابريق ذهبى . وعندما رأت الشابين انحنت وسألتهما :

– من اين جئتما ؟ هذا مكان لا يصل اليه انسان .

فقالا :

– جئنا نبحث عن بنت الملك التى خطفتها العفريتة .

– آه ! اذهبا ! لو رأتكما العفريتة فلا يمكنكما الافلات منها ابدا ! انا ابنة الملك . لقد اكلت العفريتة عددا لا يحصى من الجنود الذين ارسلهم ابى .

فأجاباها :

– اذهبى ايها الأميرة الى خلف ذلك الجبل !

ولما ذهبت الى المكان الذى اشارا اليه رأت جثمان العفريتة مطروحا على الارض فصارت تقفز وترقص جذلا وهرولت نحوهما قائلة :

– انتما بطلان رائعان . ولكن لهذه العجوز ولدين مضى على غيابهما اربعون يوما وسيعودان اليوم !

وقال الشابان :

– لا تخافى يا اميرة ، نحن نستطيع القضاء عليهما !

ثم قادتهما الأميرة الى الغرفة الذهبية وقدمت لهما اشهى الطعام . ثم طلب الاخ الكبير من اخيه الصغير ان يقف عند الباب لحماية

الأميرة . اما هو فسيختبئ تحت الجسر فى انتظار العفريتين الصغيرين .

وبعد قليل عاد العفريتان وكان احدهما ابيض والآخر اسود . وحين شما رائحة بشر صرخا :

– من هنا ؟ اخرج بسرعة !

وقفز الاخ الكبير من تحت الجسر وصرخ بالعفريت :

– ايها العفريت : رد ابنة الملك الينا . سأفتح بطنك واقطع رأسك اذا لم ترد الأميرة الينا .

ورد العفريت الابيض :

– انت مثل طفل مولود بالامس . كيف تجرؤ على هذا الكلام . تريد ان تموت !

واشهر رمحه وطوله ثمانون قدما نحو صدر الشاب .

ولكن الشاب امسك بالرمح بخفة وكسره بيده . فذهل العفريت الاسود وتساءل فى نفسه : ان رمح اخى الصغير لا ينكسر ابدا حتى ولو رفع به جبل كونلون . هذا الشاب شديد البأس ، فلأنازله بنفسى . وانقض عليه العفريت الاسود كالدب المجنون رافعا مطرقة حديدية وثقيلة الوزن لا يقدر على حملها الا الشديد الشديد وهو يقول :

– انظر الى مطرقتى !

فضرب الشاب بسيفه المطرقة فانقسمت الى قطعتين سقطتا على الارض . ثم توجه الى العفريتين بعد ان جردهما من سلاحهما وقضى عليهما ثم علق رأسيهما على رأس الجسر .

واقبل الاخ الصغير الى اخيه الكبير البطل وضمه الى صدره

بحرارة ثم عادا بالأميرة من حيث أتيا . واجتازوا الفيافى والبرارى حتى وصلوا قرية تبعد عن البلدة مسيرة يوم واحد . . خرج اهلها للترحيب بهم . وكان فى القرية رجل عجوز قد سبقهم الى البلدة واخبر الملك بوصولهم . ولما سمع الملك الخبر قال :

ـ هل انا فى يقظة ام حلم ؟

واقسم له العجوز وهو يمسد لحيته البيضاء قائلا :

ـ لو كنت كاذبا فاقطع رأسى !

فكافأه الملك بصينية من النقود الذهبية . ثم انطلق هو والوزير بأربعمائة من الجند الى القرية على اصوات الابواق والطبول والصنوج . وحمل اهالى القرية الأخوين على رؤوسهم الى قصر الملك .

بعد سبعة ايام قال الملك :

ـ من اراد منكما الزواج من ابنتى فانى موافق !

وطلب الاخ الكبير من اخيه ان يتزوج الأميرة وطلب الاخ الصغير من اخيه الكبير ان يتزوجها . وبعد اخذ ورد بينهما قال الاخ الكبير :

ـ تزوجها انت يا اخى لأنى لا استطيع الزواج منها . . وفيما بعد ستعرف الحقيقة .

فقبل الاخ الصغير رجاء اخيه ؛

وامر الملك باقامة زفاف مهيب لابنته وصهره الجديد .

وبعد ان مرت الايام السبعة الاولى على الزواج جاء الاخ الكبير الى اخيه الصغير وقال له :

ـ يا اخى ! انا سأعود الى مسقط رأسى . وانت تبقى هنا !

ـ لا يمكن ابدا . ان ذهبت فانى اذهب معك . لا اقبل ان افارقك .

وعندما وصل الى سمع الملك هذا النبأ اشار عليهما البقاء لكنه لم يستطع اقناعهما فاضطر الى الموافقة على رحيلهما مع ابنته ، وزودهم بالنفيس من الهدايا .

وقطعوا مسافات ومسافات . وذات يوم كانوا يعبرون نهرا كبيرا فطلب الاخ الكبير من الصغير وزوجته ان يتوقفا . وقال لأخيه الصغير :

ـ هل تذكر انك سبق واصطدت شيئا من هذا النهر فى يوم ما ؟

فاجابه الاخ الصغير :

ـ سمكة ذهبية !

ـ كيف عاملتها ؟

ـ اعدتها الى النهر .

ـ يا اخى يا ذا القلب الطيب .. انا هو تلك هى السمكة الذهبية ! لقد رحمتنى فلم تقتلنى ، بل اطلقت سراحى . وبسبب ذلك تعرضت لكثير من الآلام والعذاب . ولذلك وجب على ان اكافئك . والآن وداعا !

ثم قفز الى النهر وبعد قليل طفت سمكة ذهبية براقة على النهر هزت رأسها تحية للأخ الصغير .

اعداد : تشانغ تشو

الفهرس

تمهيد ١

فتى ذهبى الشعر ٣

شيويه دا والجرس الفضى ١٣

البطل كادباى ٢١

فستان من الريش الابيض ٣٥

حكاية ابن التاجر المغفل ٤٢

تثبيت نصب التنين ٥١

ثلاثة كنوز ٥٨

ابن السماك ٦٦

الخنجر السحرى ٨١

الزوجة الوفية ١١٢

ملك شجرة الرمان ١٣١

ظلال التوت ١٤٢

الغنى والاجير ١٤٥

الملك الطماع والوزير المتملق ١٤٨

عائشة ١٦١
الثعبان السحرى ١٦٩
الزوجة الامينة الذكية ١٧٦
السمكة الذهبية ١٨٠

هذا الكتاب

يضم ثمانى عشرة حكاية شعبية لقوميات مسلمة فى الصين ، تناقلتها ، ومازلت ، ألسنة الناس ، فياضة بالمشاعر كما النور يملأ الفضاء الرحب .

ويجد القارئ لهذه الحكايات انها نوع من الفن الشعبى عميق الجذور اخذ فى الانتشار والتداول فى اوساط الجماهير الشعبية .. يجد حكايات تتحدى الطغيان ممثلا فى ادواته ورموزه من حاكم أشر او طامع قذر . وهى — الحكايات — كما سيجدها القارئ ، نوع من الادب المسموع لا المقروء ، وقع اختيارنا لها لما تمتاز به من ايجابيات وصدق [illegible] للحياة والناس .

تصميم الغلاف : [illegible]